جامعـــــة الجيلالـــي بونعامـــة بخميـــس مليانـــــــة
كليـــة العلوم الإنسانيـة والإجتماعيـــــة
قســـــــم العلـــوم الإنسانيـــــة
شعبـــــة التاريـــــخ

شخصية محمد الشيخ السعدي
946هـ - 964هـ / 1540م - 1557م

مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ حديث ومعاصر

من إعداد الطالبين :
- نورالدين زراولة
- صدام مركون

تحت إشراف الأستاذ:
- نور الدين بلعريبي

السنـــة الجامعيـــة
1437هـ-1438هـ
2016 م- 2017 م

شكر و عرفان

الحمد لله الذي منى علينا بإتمام هذه المذكرة وأعاننا على إنجازها فله الحمد كله كما يليق بثنائه وجلاله ووجهه وعظيم فضله .

اعترافا بالفضل لأهل الفضل وسمة الشكر لمن هم أولى به نقدم خالص تقديرنا لمنارة طريقنا الأستاذ بلعربي نور الدين الذي تحمل عبئ الإشراف ومد يد الإرشاد والنصح فله كامل الاحترام .

والشكر الموصول للسادة الأعضاء لهيئة التدريس في قسم التاريخ وكل من كان له أثر في إنجاز هذه المذكرة ، فبارك الله لكم طيبة جهدكم وجزاكم من فضله خير جزاء .

زراولة نور الدين

مركون صدام

إهـــــــداء

إلى **أمي** هبة السماء وعطاء القدر ونعمة الأيام فإليها الفضل كل الفضل بعد المولى عز وجل لبلوغ عملي هذا المتواضع ودعوات ربي أن يجزيك بفضله جنة الخلد وزيارة بيت الله الحرام في أقرب وقت إن شاء الله .

إلى **أبي** الذي وإن قدرت عطاءه فإني بالجاحد وما ربيتني على النكران من منّ عليا ولو بالقليل فلك من حياتي لمماتي دعوات ربي أن يجزيك بفضله جنة الخلد وزيارة بيت الحرام.

إلى عائلتي الصغيرة : **عبد الله ، محمد ، حمزة ، ولينى** ، وابنة أخي الصغيرة **رتاج** التي أتمنى لها عمر طويل مني لكم عملي هذا يا من فداهم روحي أتمنى لكم الحفظ جميعا والسعادة في الدنيا والآخرة ، ولا أنسى أخواتي اللاتي أتمنى لهن النجاح في الدراسة وفي الحياة اليومية .

وإلى جميع أصدقائي الذين درسوا معي في جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة أقدم لهم تحياتي وشكري .

نـــور الديـن

إهـــــــداء

إلى أمي هبة السماء وعطاء القدر ونعمة الأيام فإليها الفضل كل الفضل بعد المولى عز وجل لبلوغ عملي هذا المتواضع ودعوات ربي أن يجزيك بفضله جنة الخلد وزيارة بيت الله الحرام في أقرب وقت إن شاء الله .

إلى أبي الذي وإن قدرت عطاءه فإني بالجاحد وما ربيتني على النكران من منّ عليا ولو بالقليل فلك من حياتي لمماتي دعوات ربي أن يجزيك بفضله جنة الخلد وزيارة بيت الحرام.

وإلى جميع أصدقائي الذين درسوا معي في جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة أقدم لهم تحياتي وشكري .

صـــداو

قـــائمـــــة المـــختصرات

العـــربـية
- ط : طبعة - د ط : دون طبعة - ج : جزء - د.ت : دون سنة تاريخ - د د ن : دون بلد نشر - م : ميلادي - هـ : هجري - ص : صفحة - ص ص : من الصفحة إلى الصفحة - تر : ترجمة - مر : مراجعة - مج : مجلد - ع : العدد - تح : تحقيق - در : دراسة

-ملخص مذكرة-

غياب السلطة المركزية الوطاسية في جنوب المغرب الأقصى خاصة في بلاد السوس، ساهم ذلك كثيرا في بروز الدولة السعدية التي كانت تدعو للجهاد ضد الدول المسيحية، خاصة الأسبان و البرتغال، و تجسد ذلك في جهود سلاطينها الأوائل أبرزهم السلطان محمد الشيخ الذي كان يسعى جاهدا إلى تحقيق أهدافه السياسية و الوصول إلى الهدف المنشود و بسط نفوذه على المغرب الأقصى و حتى الدول المجاورة لها و ترك بذلك بصمة فغي تاريخ المغرب العربي في الحقبة الحديثة.

Resumé:

L'absence du pouvoir centrailis é de l'état Aloutassi, au syd du Maroc et en particulier à Sousse, a contralisé à l'émengence de l'tat Saadite, qui appelait à la guerre sainte contre tous les états cherétiens et en particulier l'Espagne et le portugale et ce , grace aux efforts de ses premiers sultans dont le sultant Mohamed Ech Cheick. Le principale objictif de celui-ci était la concrétisation de ses aspiration afin de parvenir à son but ultime; celui d'asseoir son hégémonie sur tout le Maroc et les pays limitrophes.IL marque ainsii l'Histoir du Maghreb arabe pendant le période moderne.

المقدمة

أ- مقدمة :

بعد اكتشاف طريق الهند البحرية عبر رأس الرجاء الصالح ، اثر هذا على الأوضاع البحر الأبيض المتوسط ، فقد أخذت أهمية هذا البحر تتراجع منذ مطلع القرن 16 م ، في حين ان مكانة المحيط الأطلسي قد زادت باعتباره انه أصبح طريق تجاري جديد ، موصلة الى بلاد الهند في الشرق الأقصى .

إن امتلاك المغرب الأقصى موقع استراتيجي هام من أوروبا الناهضة و امتلاكه لسواحل طويلة في المحيط الأطلسي ، أثرت على تاريخه ذلك لان أنضار البرتغال و الأسبان توجهت نحوه وعملت على احتلال المراكز الساحلية مع نهاية قرن الخامس عشر و بداية القرن السادس عشر ميلادي ، ومن جهة أخرى وفي هذه الظروف ظهرت قوة جديد كانت مهدها في الأناضول و توسعت في أوروبا الشرقية وفي المشرق العربي و معظم أجزاء شمال إفريقيا وبدأت تطمح إلى التوسع على حساب المغرب الأقصى، وذلك لتوحيد العالم الإسلامي تصديا للخطر الصليبي إنها القوة العثمانية .

وفي تلك الفترة شهد المغرب الأقصى ضعف وسقوط الحكم الوطاسي ، ومن هنا برز دور الدعوة السعدية حيث لعب سلاطينها دور محوري خاصة في الجانب السياسي لدولة حيث برزوا على مسرح السلطة وكان لهم مكانة كبيرة في سير الأحداث ، ومن ابرز شخصيات الدولة السعدية شخصية السلطان محمد الشيخ السعدي الذي سيكون موضوع دراستنا ، وقد تناولنا هذا الموضوع في الفترة الممتدة مابين 1540-1557م الموافق ل : 946-964 هـ ، توليه الحكم قام من خلاله بالعديد من الانجازات مكنته من توطيد ركائز الدولة السعدية بالمغرب الأقصى التي كانت تهدف إلى تحقيق المبتغى ألا وهو توحيد المغرب الأقصى تحت راية الدولة السعدية .

المقدمة

ب- أسباب اختيار الموضوع :

اختيارنا لموضوع بحثنا حول دراسة المغرب الأقصى في فترة المولى محمد الشيخ السعدي كان بتوجيه من الزميل أحمد محمد شربيتي واستشارة الأستاذ المشرف الذي وجهنا إلى التقرب إلى احدى أهم الحقب من تاريخ المغرب الأقصى .

باعتبار الموضوع حلقة هامة تساهم في الكشف عن بعض الجوانب دولة المغرب الأقصى في هذه الحقبة (946-964 هـ) - (1540-1557 م) حيث تولى المولى محمد الشيخ السعدي مقاليد الحكم ، وعليه فإن هذا البحث يشكل خطوة جديد يكشف عن طبيعة الحكم و مميزاته ، وكذا امتداد لتتبع سيرة الملوك السعديين ورصد أخبارهم.

كما أننا درسنا أحوال المجتمع الاقتصادية و الاجتماعية وعلاقة السلطان برعيته و الكشف عن سيرورة تحديث التي مر بها المجتمع المغربي ، و آفاق التحول من خلال إبراز مسار الحكم المولى محمد الشيخ السعدي طيلة سبعة عشر سنة .

كما أن هذا البحث يكتسي نوع من الأهمية لفهم واقع التاريخ المغرب الأقصى في هذه الفترة و الوقوف على العوامل التي تحكمت في السيرورة التاريخية ، كما أن هذه الدراسة استهدفت الكشف عن السياسة التي انتهجها السلطان محمد الشيخ السعدي وكيفية التعامل مع الأوضاع الداخلية و الخارجية وغيرها من الأدوار الاجتماعية و الاقتصادية و حتى الدينية .

المقدمة

-ج- الإشكالية :

إن كان لكل موضوع علمي إشكالية توضح مضمونه وتكشف عن جوهره اجتهدنا في بناء إشكالية التالية :بما تميزت الأوضاع الدولة السعدية في عهد السلطان محمد الشيخ السعدي ؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية جزأناها إلى تساؤلات فرعية أهمها :

- ما ماهية الأوضاع العامة للمغرب الأقصى في مطلع القرن السادس عشر ؟

- ما هي سياسة السلطان محمد الشيخ السعدي في سبيل توحيد المغرب الأقصى ؟

- كيف كانت علاقته الخارجية ؟ وفيما تمثلت سياسته تجاه الأتراك العثمانيين والجزائر ؟

- وللإجابة على هذه الإشكالية و تساؤلاتها الفرعية ، وضعنا خطة عمل سرنا عليها ابتدأناها بمقدمة وأنهيناها بخاتمة وبينهما ثلاثة فصول ، الفصل التمهيدي عنوناه بالأوضاع العامة في المغرب الاقصى خلال مطلع القرن السادس عشر وقسمناه إلى ثلاثة مباحث حيث تناولنا في المبحث الأول: ظروف الداخلية قبيل ظهور الدولة السعدية ، وفي المبحث الثاني :جذور الدولة السعدية كما تطرقنا في المبحث الثالث: من الدعوة إلى تأسيس الدولة و جاء الفصل الثاني بعنوان تطور الدولة السعدية في ضل حكم السلطان محمد الشيخ السعدي (946-964) (1540-1557) كان عنوان المبحث الأول ، ولاية محمد الشيخ والمبحث الثاني تناولنا فيه سياسته الداخلية ، أما المبحث الثالث تطرقنا إلى الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية ، أما فيما يخص الفصل الثالث كان بعنوان العلاقة الخارجية لسلطان محمد شيخ السعدي ، وقد ركزنا في المبحث الأول على علاقاته مع الأسبان والبرتغال أما المبحث الثاني مع انجلترا وفرنسا أما فيما يخص المبحث الأخير ركزنا على علاقاته مع الأتراك العثمانيين والجزائر التي كان يكن لهم العداء .

المقدمة

– وتبعنا في طريقة تناولنا للموضوع المنهج التاريخي الوصفي السردي الذي اعتمدنا فيه على سرد الوقائع التاريخية للمغرب الأقصى في النصف الأول من القرن السادس عشر كما اعتمدنا على المنهج المقارن للفصل الثالث وهو المقارنة بين أراء المؤرخين حول النزاع القائم بين السلطان المغربي و السلطان العثماني في مسألة الخلافة الإسلامية .

– كما استسقينا هذه الدراسة من جملة من المصادر الأولية و الثانوية يأتي في مقدمتها حسن الوزان المعروف لدى الغربيين بليون إفريقي ، كتابه وصف إفريقيا الذي ألفه بالايطالية وترجمه إلى عدة لغات منها العربية على يد محمد حاجي و آخرون،ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة في مطلع القرن السادس عشر ميلادي الموافق للقرن العاشر هجري ، وهو يؤرخ لكل بلدان المغرب الإسلامي كما يتطرق لوصف كل المناطق التي زارها ، والكتاب فيه جزأين الأول و الثاني استفدنا منهما في التعريف بالمدن المغربية .

– إفريقيا للويس مارمول كاربخال ، كتب عن المغرب الأقصى وقضى حوالي عشر سنوات متنقلا فيها وجاء كتابه تكملة لحسن الوزان (وصف إفريقيا) ، كتابه فيه ثلاثة أجزاء نقله إلى العربية محمد حاجي و آخرون ، استفدنا كثيرا من الجزء الأول حيث اعتمدنا عليه في الفصل الثاني في مولد و نشأة محمد الشيخ ، كما اعتمدنا عليه في ذكر توسعات محمد الشيخ في المغرب الأقصى.

دييغو دي طوريس، كتابه تاريخ الشرفاء، وهو أيضا مترجم إلى اللغة العربية وهو من المصادر المهمة التي تؤرخ لدولة السعدية في مرحلة التأسيس ، واعتمدنا عليه في سياسة السلطان الداخلية.

محمد صغير الافراني ، صاحب كتاب نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، وهو من المصادر المهمة التي تؤرخ لدولة السعدية ، اعتمدنا عليه في الفصل الأول ، تحت عنوان

ظهور الدولة السعدية في جنوب المغرب الأقصى ، وكذا في الفصل الثاني حول بيعت السلطان وتوليه الخلافة .

أما تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية،المؤرخ المجهول ،من تحقيق بن حادة عبد الرحيم يعتبر من المصادر التاريخ في العهد السعدي ، واعتمدنا عليه في الفصل الأول حول البوادر الأولى لظهور الدولة السعدية .

كما استفدنا من مصادر ثانوية عديدة أهمها عبد الكريم كريم ،المغرب في عهد الدولة السعدية ، دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية لمختلف المظاهر الحضارية ، واعتمدنا عليه في الفصل الأول و الثالث .

كتاب تاريخ المغرب العربي الحديث ،محمود علي عامر ومحمد خير فارس، فهو من المراجع التي تتطرق إلى تاريخ المغرب الأقصى في الفترة الحديثة ساعدنا في دراسة الأوضاع العامة للمغرب الأقصى قبيل القرن السادس عشر ميلادي.

كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للدولة السعدية ، الجزء الخامس ويبقى هذا الكتاب هو الأخير من المراجع المهمة بحيث لا يمكن لدارس أحوال الدولة السعدية سياسيا استغناء عنه من تأليف الناصري ، وقد اعتمدنا عليه في الفصل الثاني و الثالث .

د- الصعوبات :

من بين الصعوبات التي وجهناها لدراسة هذا الموضوع تنوع المصادر و المراجع اغلبها تتناول نفس الأفكار وهذا إلى القيام بعملية الانتقاء المعلومات، و المصادر و المراجع التي أتيحت لنا وقد وجدناه تتشابه كثيرا في الأحداث و الوقائع خلال فترة حكم المولى محمد شيخ السعدي ، وربما يعود هذا إلى الكتاب الذين كانوا في ذلك الوقت لان اغلبهم كانوا في قصر السلطان السعدي وهذا يؤدي إلى نوع من الميول له .

ندرة المطبوعات الورقية ، ولهذا لجأنا إلى المصادر و المراجع الالكترونية (PDF) .

المدة الزمنية لإعداد المذكرة غير كافية تمام لدراسة الموضوع ما يتطلب وقت وجهد عملي كبير.

قلة المادة العلمية المتخصصة أساسا في شخصية محمد الشيخ السعدي .

وفي ختام هذه المقدمة ما يسعنا إلا أن نشكر الله على توفيقه لنا ، ولهذا الخير الشكر الموصول إلى كل من ساعدونا في انجاز هذه المذكرة المتواضعة ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف بلعربي نور الدين .

الفصل الأول : الأوضاع العامة في مطلع القرن 16م

* المبحث الأول : الظروف الداخلية قبل ظهور الدعوة السعدية

1- المطلب الأول: اقتصاديا

إن دراسة هذه الفترة تتطلب من أن نرجع أولا و قبل كل شيء إلى النزاع القائم بين الشرق والغرب ، وعلى هذا الأساس فان موضوعنا عندما تكاد الحملات الصليبية التي تعود المؤرخون أن يسموها حروب الاسترداد و الاسترجاع التي تمكن الإسبانيين إثرها من القضاء على الكيان المسلمين في شبه جزيرة أيبيريا و تشريدهم إلى مختلف مناطق المغرب العربي في الوقت الذي وقع فيه التنافس الاسباني البرتغالي على المغرب الأقصى[1] كانت ظروف هذه البلاد في أحوال سيئة ،حيث كان المغرب يعيش أزمة اقتصادية حادة بسبب الفتن السائدة في الداخل ،و الأخطار التي ترتبت عن الاحتلال الأجنبي[2] لمعظم السواحل المغربية.[3]

فقد اضطربت جميع المظاهر الاقتصادية و لم تعد ترى أثر للنشاط الذي عرف به المغرب الأقصى في ميدان المبادلات التجارية مع بلدان حوض المتوسط ،و كذا مع مناطق الصحراء وغرب إفريقيا ، كما أن الأعمال الزراعية التي كانت مزدهرة و باعتبار أن معظم أراضي المغرب الأقصى سهول خصبة قد اضطربت و ضعف نشاطها.[4]

---

[1]- **أنظر الملحق رقم 01 ، ص 69 .**

[2]- محمد العربي الزبيري **مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث** ،دار المعارف بمصر ،القاهرة ، د ط ، د ت ، ص 14.

[3]- محمد علي عامر ،محمد خبر فارس ،**تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى ليبية) منذ بداية القرن 16حتى 1830**،مج1 ،جمعية التعايشية للطباعة ،دمشق ،د ط ،د ت ،ص 12.

[4]- عبد الكريم كريم ،**المغرب في عهد الدولة السعدية** ،دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية و مختلف المظاهر الحضارية ،جمعية مؤرخين المغاربة ،الرباط ،ط 3 ،2006 ،ص 13.

زد إلى ذلك المحافظة على الوسائل الزراعية القديمة الأمر حصل للحرف و الصنائع إلى جانب تمسكها بطرق العصور الوسطى لم تجد الجو الملائم للازدهار و التطور ، لقد ترك لنا " حسن الوزان " وصفا هاما للحرف و عمليات التبادل التجاري دون أن يغفل عن التعرض للوضعيات التي ترتب عن الاحتلال الأجنبي في الميدان الاقتصادي ، يؤكد لنا الاقتصاد المغربي قد أصبح يعيش في نظام شبه مغلق الأمر الذي زاد من مساوئ الحالة الداخلية للبلاد . فعمت الفتن و الاضطرابات وصعب وجود طرق آمنة منظمة .[1]

– ضف إلى ذلك الحروب والفتن و انعدام الأمن قد أدت إلى تعطل التجارة الداخلية و هجرة سكان المدن و القرى إلى الجبال و تقلص مساحة الأراضي المزروعة ، والتوسع العنصر البدوي الرعوي و انتشاره في السهول الخصبة ،فان العنصر البرتغالي أدى إلى خنق المغرب الأقصى اقتصاديا و شل تجارته الخارجية.[2]

[1]– عبد الكريم كريم ،**المرجع سابق** ، ص14.

[2]– محمود علي عامر ، محمد خير فارس ،**المرجع السابق** ، ص 31 .

2- المطلب الثاني:سياسيا

الوضع السياسي لم يكن أقل تدهورا من العاملين الاقتصادي و الفكري فبعد الانتصار على المسلمين في الأندلس فكر ملوك الإسبان و البرتغال في توسيع ملكهم و خلق إمبراطورية مترامية الأطراف و بادروا إلى السيطرة على الحوض المتوسط و احتلال الشواطئ المغربية[1] وكان المغرب عاجز عن التصدي للعدو لأسباب كثيرة [2] منها غياب السلطة المركزية وتوطد السلطات الإقليمية و صورة المغرب الأقصى متأثرة بالحروب و الفتن الداخلية والغزو الخارجي البرتغالي و الاسباني.[3]

أدى ذلك إلى تجزئة المغرب الأقصى إلى وحدات سياسية شبه مستقلة عن بعضها البعض بعضها أمنتها ظروف الجهاد ومقاتلة العدو المحتل للسواحل المغربية و بعضها الآخر نتيجة البعد عن السلطة الحاكمة وذلك كما تم في شرق المغرب الأقصى و جنوبه ،بالإضافة إلى أن معظم القبائل التي كانت بالسواحل الأطلسية خاصة وإنما وجدت نفسها مضطرة إلى مهادنة المحتلين و إعلان بعضها الدخول تحت حماية البرتغال.[4]

---

[1]- **أنظر الملحق رقم 02 ، ص 70** .

[2]- محمد العربي الزبيري ،**المرجع السابق** ،ص 15.

[3]- محمود علي عامر و محمد خيير فارس ،**المرجع السابق** ص 31.

[4]- عبد الكريم كريم ،**المرجع السابق** ص 16.

الفصل الأول : الأوضاع العامة في مطلع القرن 16م

فقد ظهرت مدينة" شفشاون " [1] كمركز للمقاومة الوطنية ضد الاحتلال الأجنبي منذ أن اتخذها المولى على بن راشد و قد ثار ضد الوطاسيين و انتقد مهادنتهم للبرتغال و رغم إخضاع ثورته فان مدينة " شفشاون " ضلت تحتل مكانة مرموقة في حركات الجهاد ،و إلى جانبها هناك مدن أخرى مثل قصر الكبير ،الذي كانت سوقا تجلب إليها البضائع الإسبان والبرتغال وقد تولى هذه الإمارة عائلة العروسي [2] ،فقد ساد النفوذ البرتغالي في هذه المناطق بل و أن بعض من هؤلاء العائلة لم يتورع عن إعلان طاعة البرتغال و الدخول في حماية التاج البرتغالي وهكذا كان المغرب الأقصى يعيش حالة من الفوضى فبنو راشد في " **شفشاون**" **و آل المنطري في**" **تطوان**" لا يزالون في حالة حرب مع البرتغاليين .[3]

---

[1]– **شفشاون** : سميت بذلك الاسم نسبة الى جبل الذي يعتبر الأحسن في افريقيا ، فهي عبارة عن مدينة صغيرة مليئة بالصناع و التجار ، أنظر: حسن بن محمد الوزان الفاسي ، المعروف بليون افريقي ، **(وصف افريقيا)**، تر عن فرنسية محمد حاجي محمد الأخضر – ج1 – دار الغرب الاسلامي ،لبنان ، ط2 ،1983 م ص 331.

[2]– عبد الكريم كريم ، مرجع السابق ص 16.

[3]– هوارية بكاي و مبحوث برداوية ،**العلاقات السياسية و الروابط الثقافية بين المغربين الأوسط و الأقصى خلال قرنين السابع و العاشر هجريين (633 – 962 هـ / 1233 – 1554)**،رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي الوسط ، قسم تاريخ و علم أثار ،جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ،2013–2014 ،ص 106.

3- المطلب الثالث: فكريا .

و أخيرا هناك الناحية الفكرية التي أكثر ما يهمنا منها الاطلاع على الدور الذي أصبحت تلعبه الزوايا ، فالرباطات التي كانت في مختلف المناطق المغرب منها سياسية و اقتصادية عند مطلع القرن السادس عشر ، أصبح من السهل علينا أن نتنبأ عن الأوضاع الثقافية التي أصبحت عليها البلاد [1].

- إذا كانت فاس [2] لا تزال متمتعة بالشهرة العلمية بفضل جامع القرويين و " تطوان" قد أخذت تبدأ مقاما رفيعا في هذا المجال فمن الصعب العثور على مراكز علمية أخرى تضارع ما ذكرنا اللهم إلا ما كان من الزوايا و الرباطات التي لم تخلوا منها منطقة أو ناحية من بلاد المغرب ففي نهاية القرن الخامس عشر أصبحت الطرق الصوفية موضة العصر في المغرب كله و أقبل عليها المثقفون في المدن و الأرياف [3].

و يبدو أن الوطاسيين الذين كانوا محرومين من السند القبلي حاولوا أن يعرضوا عن ذلك بإيجاد سند ديني و ذلك بتشجيع الصوفية و الشريفية في الوقت الذي عجز فيه الوطاسيين عن فرض سيطرتهم على البلاد .[4]

---

[1]- عبد الكريم كريم ،**المرجع السابق**، ص 22.

[2]- **فاس** : هي مدينة تبدأ من نهر أم الربيع غربا لتنتهي بملوية شرقا في شمال يحد قسم منها بالبحر المحيط وسائرها بالبحر المتوسط ،و تنقسم هذه المملكة الى سبع أقاليم ، أنظر: حسن الوزان بن محمد الوزان الفاسي ،**المصدر السابق** ،ص 193.

[3]- محمود علي عامر ،محمد خير فارس ،**المرجع السابق**، ص 25.

[4]- عبد الكريم كريم ،**المرجع السابق**، ص 23.

الفصل الأول : الأوضاع العامة في مطلع القرن 16م

ان بعض الحركات الصوفية التي برزت في هذه الفترة الأولى القادرية نسبة إلى قطب الصوفية المشرفي عبد القادر الجيلالي الذي توفي في بغداد ، والثانية الشاذلية مؤسسها قطب الصوفية المغربي عبد السلام بنو مشيش و سميت بالشاذلية نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي ،و قد أثر بعض الدعاة المعتزلة على العبادة و الصلاة ،كما قاموا بتأليف و نسخ الكتب حيث لا يزال العديد من تأليفهم مخطوطا حتى اليوم ،خلق هذا النوع تدهور والانحطاط الفكري و هذا الوضع زاد تعقيدا للخطر الخارجي المتمثل في العمليات الاحتلال الأجنبي لمعظم السواحل المغربية [1]

[1]– محمود علي عامر ،محمد خيبر فارس ، **المرجع السابق**، ص 26.

*** المبحث الثاني: جذور الدعوة السعدية**

1- المطلب الأول: نسب الأشراف السعديين

يرى المؤرخون المغاربة و من بينهم صاحب الاستسقا الذي يرى أن أصل سلفهم من ينبع النخل من أرض الحجاز و أنهم أشراف [1]

من ولد محمد النفس الزكية رضي الله عليه ،و إليه كانوا يرفعون نسبهم و يقولون في أول ملوكهم القائم بأمر الله مثلا : هو محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن مخلوف بن زيدان بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن المثني بن الحسن السيف ابن علي ابن أبي الطالب رضي الله عنهم ،فهم بنو عم السادة العلويين أشراف " سجلماسة يجتمعون معهم في محمد بن أبي القاسم المذكور في النسب و السبب في قدومهم من الحجاز إلى المغرب ، لأن أهل الدرعة كانت أرضها لا تصلح ثمارها و تعثرها العاهات كثيرا .[2]

رغم أن السعديين يرو أنهم من آل بيت الرسول صلى الله عليه و سلم إلا أن الروايات اختلفت حول نسب اشراف السعديين[3] :

- قيل أنهم من بني سعد بن بكر بن موزان الذين تنتمي اليهم حليمة السعدية ضأر رسول الله صلى الله عليه و سلم و هذه رواية المقري صاحب (نفح الطيب).[4]

مصطلح الشريف: كنية تطلق على الشخص الفرد المرتبط نسبة لال البيت النبي ' صلى الله عليه و سلم، يصبح لهذا الشخص مكانة متميزة لتبقى تتداول بين حفدته ، راجع :جون واتربوري ، أحمد المؤمنين (الملكية و النخبة السياسية التخريبي) ، تح عبد الغني أبو العزم ،عبد الأحد السبتي ،عبد اللطيف القلق ،مؤسسة الغنى ،المغرب ، ط3 ، 2013، ص 71.

[2]- أحمد بن خالد الناصري ،**الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى ، الدولة السعدية،ج 5** ،تحقيق الأساتذة جعفر الناصري ،محمد الناصري ،دار الكتاب ،الدار البيضاء ،د ط ، 1418 هـ ،1997 ، ص 3.

[3]- **انظر الملحق رقم 03 ، ص 71 .**

[4]- ابراهيم حركات ،**المغرب عبر التاريخ ،(من بداية المرينيين الى نهاية السعديين)،ج 2** ،دار الشاد الحديثة ،الدار البيضاء ،د ط ،د ت ،ص 272.

الفصل الأول : الأوضاع العامة في مطلع القرن 16م

كما قيل إنما لقبهم العامة بالسعديين تيمنا لأنهم سعدوا بدولتهم و هذه رواية اليفرني[1]

قيل أنهم من ولد النفس الزكية ،و هم أبناء عم العلويين يجتمعون في محمد بن القاسم بن محمد ،و هذا ما نقله لنا إبراهيم حركات عن صاحب الترجمان المغرب حيث قال " **و الذي سمعته من مولانا أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله لما جرى ذكرهم وذكرنا له الخلاف في نسبهم ،قال: أسكت و لا تعد لهذه المقالة ،فإنهمإخواننا و بنو عمنا وجدنا و جدهم واحد بنو إبراهيم ،و جدهم أحمد ،خرج للمغرب قبل جدنا لحسن بنحو ثلاثين سنة و هما أخوان ،لكنهم لما ملكوا لم يعاملونا معاملة الإخوان ،و اقتصروا على التعظيم و الاحترام ،فكان سلفنا ،يحقدون عليهم أعمالهم لجانبنا** ... "هذا موجب طعن سلفنا في نسبهم ،و إلا فالحق أحق أن يتبع.[2]

أما مسألة نسب السعديين لآل البيت رغم طعن في نسبهم خصوصا العلويون الذين اختلفوا في ذلك وسيلة لمفاوضتهم و تنفير العامة منهم إلا أن المصادر التاريخية المختلفة والمعاصرة تثبت النسب الشريف الذي كان من أهم أسباب نجاح هذه الدولة ، فان كلمة الأشياخ قد اتفقت على أن عبد الله محمد القائم إنما كان بنهوضه بإشارة من الصالحين ولأن من العلماء العاملين ،و كفى هذا شاهدا على صحة نسب الشريف عندهم و لما حضره بالإمامة العظمى التي لا يتمنى صهرتها إلا شريف النسب.[3]

---

[1]–ابراهيم حركات ،**المغرب عبر التاريخ** ،**(من بداية المرينيين الى نهاية السعديين)**،**ج 2** ،دار الشاد الحديثة ،الدار البيضاء ،د ط ،د ت ،ص 272.

[2]– **نفسه**،ص 273.

[3]– عبد الكريم كريم ،**المرجع السابق**،ص 40.

2- المطلب الثاني: ظهور الدعوة السعدية في جنوب المغرب الأقصى

ظل السعديين حتى مطلع القرن 10 هـ ، 16 م ،يعيشون حياة بسيطة دينية و علمية ، و لم يبرزوا على الساحة السياسية حتى اشتدت وطأة البرتغال على الجنوب المغربي ، فألحقوا به وبسكانه أضرار مادية و بشرية دون أي تدخل من السلطة المركزية الوطاسية لحمايتهم واشتغلوا بالدفاع عن المناطق الشمالية.[1]

وبعد التأكد من عدم الجدوى من المقاومة الغير المنظمة و غياب الدور السياسي الفعال من جانب السلطة المركزية في الشمال و خاصة الجنوب ،اتجه رأي الشيوخ الزوايا و رؤساء القبائل للبحث عمن يتولى قيادتهم فاستقر رأي اهل السوس على اختيار أحمد شيوخ الزوايا وعرضوا قيادتهم على الشيخ محمد بن مبارك [2] زعيم زاوية اقا و الشيخ بركات بن محمد زعيم زاوية تيدسي بمنطقة جزولة.[3]

---

[1]- هوارية بكاي ،برداويةمبخوث ،**المرجع السابق** ،ص 111.

[2]- **محمذ بن مبارك** :هو زعيم زاوية افا ،كان أعجوبة من أعاجيب الدهر ، مرهف سريع الاجابة ، متمكنا من المقام و قد وضع أيام معلومة سيدي محمد بن مبارك لا يحمل فيها أحد السلاح ... و أهل القبلة ،أنظر: محمد الصغير الافراني ،**المصدر السابق** ،ص 69.

[3]-**الجزولة** : نسبة الى جزولة أو كزولة الذي يدل على أصول الصحراوية لسكان السوس و هم الجزوليون ، أنظر :عبد الله حاجي ،**الدولة السعدية** ،**(اليات التطور و مظاهر التدهور السوس بني 1510 – 1609)**، افريقيا الشرق ،المغرب ، د ط ، 2013 ص 255.

الفصل الأول : الأوضاع العامة في مطلع القرن 16م

رغم أن بداية الدعوة السعدية بدأت بمبايعة أهل السوس للقائم بأمر الله ، إلا أن المصادر والمراجع اختلفت في الظروف التي مهدت لظهور الدعوة السعدية .

– نجد في الدوحة عن ترجمة الشيخ العالم الأكبر محمد عبد الله بن عمر المضغري دفين الدرعة[1] كان محمد الشيخ و أخوه أبو العباس من تلاميذه و بسببه كانت دعوتهما و هذا مخالف لما تقدم ذكره، و هذا يبين لنا أن كلا من ابن المبارك و ابن عمر و أبو بركات حثوا على مبايعة الآخرين.[2]

أما في مراءة المحاسن: تذكر أن السلطان أبا عبد الله محمد الشيخ ماهد دولة الشرفاء ولقد كان نهوض محمد الشيخ بإشارة من الصالحين و إذن من العلماء العاملين .[3]

و قال اليفراني " رأيت بخط الفقيه العلامة أبي زيد عبد الرحمان ابن شيخ بجماعة أبي محمد عبد القادر الفاسي ما صورته ،ذكر لنا الوالد عن سيدي أحمد بن علي السوس البوسعيدي ،إن ابتداء دولة الشرفاء بالسوس يعود إلى سيدي بركات .[4]

---

[1]– **درعة** : هي منطقة شاسعة تكتنفها مرتفعات الأطلس الكبير شمالا و اقليم تافلالت شرقا وسوس الأقصى غربا ، تجري بها عدة أنهار تنبع من الأطلس الكبير و الصغير و تلتقي لتكون نهر لدرعة الذي يتجه نحو الصحراء ، ثم يعرج غربا ليصب في المحيط الأطلسي ،و المنطقة ذات طابع صحراوي باستثناء الجزء الشمالي الخصيب على مجرى وادي داس ،انظر: عبد الله الحاجي ،**المرجع السابق**،ص 258.

[2]– محمد الصغير الافراني ،**المصدر السابق**،ص 44.

[3]–**نفسه**،ص 44.

[4]– **سيدي بركات** :ولد أبو البركات محمد بن أبي بكر التيدسي في مدينة تيدسي ،جنوب غرب تارودانت ،و هي شبه صحراوية تقع على السفح الشمالي الأطلس الصغير بين قبائل سندالة التي تعتبر قبيلة الشيخ أبي البركات: و هلالة و للمعرفة أكثر عنه ،أنظر: في كتاب عبد الله الحاجي ،**المرجع السابق**،ص 26.

الذي توسط في فداء بعض الأسري ،و إبراز اتفاق مع النصارى على أن لا يحبسوا أسيرا فاقترحوا عليه حتى يكون لهم أمير و هذا ما أدى بسيدي بركات لمساعدة أهل السوس في مبايعة أبو عبد الله القائم بأمر الله في مدينة تيدسي سنة 915 هـ الموافق لـ 1510 م.[1]

وبالإضافة إلى هذه الروايات هناك رواية أخرى تروي بأن مولاي محمد الشيخ و أخيه أحمد الأعرج كانا بين يدي المعلم ، و هما صغار فإذا بديك طار و نزل على رأس مولاي محمد الشيخ و صرخ مرتين أو ثلاث فخرج الفقيه ،[2]لأهل القرية و أعلمهم بذلك و كان رجل صالحا فقال له أهل التكمدارتية[3] و ما ذاك يا سيدي ، فقال لهم الفقيه المعلم ، سيكون لهذين الشابين شأن عظيم و إمارة على أهل المغرب ، فصار أهل البلاد يرتقبون أمرهم وقتا بعد وقت إلى أن ظهر سلطانهم و قيامهم بالأمر.[4]

---

[1]– أحمد بن خالد الناصري ،**المرجع السابق** ،ص 8.

[2]– مجهول **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تق و تح عبد الرحيم بن حادة ، دار تينمل للطباعة و النشر ،عيون المقالات ، مراكش ،ط 1 ،1994 ،ص 12.

[3]–**التكمدارتية:**من أعمال فزواطة بوادي درعة قاعدتها الان هي أزمور و تحتوي على زاكور وزاوية البركة ، و سرت و غيرها ،أنظر: أحمد بن خالد الناصري ،**المرجع السابق** ،ص 8.

[4]– مجهول ،**المصدر السابق** ،ص 12.

3- المطلب الثالث : دور زاوية تيدسي في نشأة الدولة السعدية.

لما ضعفت دولة بني مرين كان ذلك سبب قيام الدولة السعدية بأقصى المغرب من بلاد سوس ، و سبب ذلك ما وراء الشيخ أبو زيد عبد الرحمان بن الشيخ عبد القادر الفاسي ، من أن أشداد دولة الشرفاء بسوس سببها أن بعض السادات الصلحاء هو السيد أبي البركات محمد بن أبي بكر التيدسي[1] لعب دورا كبيرا في نشأة الدولة و كان ذلك بتوسطه في فداء بعض الأسرى فأراد أن يكون الاتفاق مع النصارى على أن لا يبقى أسيرا و هذا السبب مبايعتهم لهذا الشيخ المذكور [2]

- و هنا أجمع المؤرخون و الباحثون على أن الدولة السعدية قامت على أكتاف شيوخ الزوايا كما رأينا من قبل أبا عبد الله محمد القائم بأمر الله مهد لدولة الشرفاء إنما كان نهوضه بإشارة من الصالحين و إذن من العلماء العاملين بالرغم من اختلاف الدارسين حول تحديد الطريقة التي أطرت هذا التكوين مفاجئ للدولة السعدية لقد سهر على هذا المشروع السياسي التاريخ محمد بن أبي بكر التيدسي المعروف بالسيد بركات و لعل وجود الشيخ محمد بن أبي بكر إتقانه للتدريس.[3]

---

[1]- **تيدسي :** هي مركز تجاري يحادي الحدود الشمالية لجبال الأطلس الصغير كان بشكل تجمعا سكانيا مهما في سوس في القرن 10 هـ /16 م ،حيث اعتمد السكان على الزراعة بواسطة العيون التي تنفجر من الأطلس الصغير ، و مجال جغرافي لتيدسي يشمل الضفة الشمالية و الجنوبية لنهر سوس ، أنظر حسن الوزان الفاسي ، **المصدر السابق**،ص 119.

[2]- عبد الله الحاجي ، **المرجع السابق** ،ص 188.

[3]- **نفسه**،ص 190.

– و في مدينة تيدسي هو الأمر الذي جعل سكانها يعيشون في سلام عكس المدن المجاورة و قد عرف الجنوب المغربي كما مر معنا انتشار للزوايا الدينية و الصلحاء حيث كان الجانب الروحي العبادي هو الأصل في محاربة البدع، ثم بعد ذلك انتساب للدور السياسي كحث الناس على الجهاد و تجسد ذلك في نهوض المغاربة الى الجهاد بزعامة زاوية تيدسي الممثلة في شيوخها و علمائها، و هنا برز الدور السياسي لزاوية تيدسي و مساهمتها في نشأة الدولة السعدية .[1]

[1]– عبد الله حاجي ،**المرجع السابق**،ص 191.

الفصل الأول : الأوضاع العامة في مطلع القرن 16م

* المبحث الثالث : الدعوة السعدية وتأسيس الدولة

1- المطلب الأول: الصراع السعدي الوطاسي

نستهل ذلك باستقرار المولى أحمد الأعرج في مراكش[1] عند مطلع سنة 1525م عرفت الدعوة السعدية في هذه المرحلة تطورات هامة كان الكفاح في جميعها هو الطابع المميز والصفة التي عرفت بها الكفاح في الداخل ضد الوطاسيين التي تعود أصولهم إلى بني وطاس ينتمون إلى ضجاجة و بالتالي إلى المنونة ،فهم كما نقل لنا هذا إبراهيم حركات " من ولد وطاس بني المغربي يوسف بن تاشفين ملك المغرب بأسره و الأندلس بأسرها و بنو وطاس مجمعون بذلك و القوم أعرف بأنسابهم و سبب دخولهم في قبائل بني مرين أنه كما أنقضت أيامهم و غلبهم الموحدون على ملكهم وخرج جدهم وطاسي فارا بنفسه من تلمسان فلحق ببلاد المزاب.[2]

و من جهة كان يعمل السعديين على استغلال كل الفرص السائحة التي تمكنهم من القضاء على خصومهم و تساعدهم في نفس الوقت على تقوية نفوذهم و توطيد دعائم دولتهم الناشئة ،لقد استغل المولى أحمد الأعرج فرصة الهدنة التي وقعها مع البرتغال بالضبط مع جان الثالث بتاريخ 24 صفر 932 هـ / 10 ديسمبر 1525م لبسط نفوذهم على معظم بلاد المغرب الجنوبية .[3]

---

[1]- **مراكش** : تقع في سهل واسع على مسافة 14 ميلا من المحيط الأطلسي ، وقد شيدت من قبل يوسف بن تاشفين ، أنظر : حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 138 .

[2]- ابراهيم حركات ، **المرجع السابق**،ص 194.

[3]- عبد الهادي النازي ،**التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى اليوم** ،مج8 السعديين ،الهيئة العامة ،مكتبة الاسكندرية ،د ط،1998،ص91.

وخاصة ببلاد " درعة" ثم احتلال مدينة مراكش التي أصبحت مطلع 1525 المقر الجديد للدولة السعدية الناشئة و بديهي أن أعمال كهذه كان من شأنها أن تثير الوطاسيين في فاس و تجعلهم يتأكدون من أن المولى أحمد الاعرج يشتغل بدعوة الى الجهاد للسيطرة و التملك ولكن ظروف الوطاسيين لم تكن تسمح بالقيام بأي عمل ضد المولى أحمد الأعرج في مراكش فقد توفي الملك الوطاسي محمد البرتغالي في شهر ماي لسنة 1526 م تاركا الحكم لأخيه أبو حسون، و المولى أحمد السعدي قد حاول استغلال أحداث فاس الداخلية والنزاع بين أمراء الوطاسيين لصالحه.[1]

– مما جعله يتمسك بالهدنة من البرتغال و لقد جرت خلال فترة الهدنة مراسلات بين المولى أحمد و البرتغاليين تكشف لنا التقارب عن بعض الأوضاع للمغرب الجنوبي ،فلم تكد تمضي على الهدنة غير مدة قليلة حتى قام الحاكم"سنتا كروز" بحملة ضد مراكز السعديين في سوس ، مستغلا فرصة انتقال المولى أحمد و أخيه المولى محمد إلى مراكش ، و من جهة أخرى كان يعمل الوطاسيين على إنهاء خصوماتهم مع البرتغاليين حتى يتفرغوا للخطر السعدي ، حتى كلف المولى إبراهيم باتصال بالبرتغال في أصيلا و كما أمر لقائد أحمد العطار و حاكما لتبادل بالقيام بنفس المهمة في أسفي ،حسب الرسائل التي بعثها حاكما أسفي إلى لشبونة فان القائد العطار عرض عليه اسم سلطان فاس والتعاون ضد السعديين.[2]

[1]– عبد الواحد المراكشي،**المعجب في تلخيص اخبار المغرب**،تح الأستاذ محمد سعيد العريان ،دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ،د ب ،د ط ،2012،ص 255.

[2]– عبد الكريم كريم ،**المرجع السابق**،ص 53.

و هذه المرحلة صعبة على الشريفين أحمد الأعرج و محمد الشيخ الذي رحب بهما الأمير الناصر بوشنتوف الهنتاتي و أغدق عليها العطاء و خصص لهما نصيبا من الزكاة لتمويل الحركة الجهاد قبل الهدنة التي أبرمت و لم تدم الا ثمانية سنوات فحدثت معركة " مشروع" " بوعقبة" أحد روافد أم الربيع سنة 943هـ / 1536 م ، حيث تعتبر هذه المعركة هي حصول الأولياء بكثافة و مشاركتهم الفعالة لأول مرة في تاريخ الصراع السعدي الوطاسي ،و التي ملكت خلالها الدولة السعدية إقليم تادلا .[1]

و ظل السعديون يواصلون هجماتهم لتوحيد مجموع البلاد المغرب ،و لوقوف المغاربة صفا واحدا ضد الأعداء المحتلين و تجسدت هذه جهودا تفي الأعمال التي قام بها أحمد الأعرج ودور أبي عبد الله محمد المهدي في تحرير حصن فونتي 1547 م . و أسفى 1548 م وأزمور واستولى على مراكش ، و هنا طمحت نفسه الاستيلاء على بقية بلاد المغرب و قطع جرثومة الوطاسيين مع سائر الأقطار فجمع بها جموع و تقدم الى أقطار فاس و أصبحت في قبضة الوطاسيين منها كان ذلك عام 1556 م و من نتائج ذلك فرار أبا حسون إلى الجزائر و بعد ذلك مد نفوذه إلى غاية تلمسان و استولى عليها.[2]

– بعد أيام قليلة من ذلك شاع خبر وفاة أحمد الوطاسي مع إعطاء عائلته بالسم بعد فراره و هكذا استولى محمد الشيخ على كل فاس مما ساعد على توطيد أسس الدولة السعدية .[3]

---

[1]– عبد الله الحاجي ،**المرجع السابق**،ص 188.

[2]– أحمد بن خالد الناصري ،**المرجع السابق**،ص ص 24 – 27.

[3]– عبد الكريم كريم ،**المرجع السابق**،ص ص 68–67.

2- المطلب الثاني :نزاع على السلطة بين الأخوين (أحمد الأعرج و محمد الشيخ)

كان لاسترداد أغادير وقع كبير في المغرب عام 1541م. و هو أول مركز برتغالي يسقط في حرب التحرير التي يقوم بها السعديين ،و لقد ترتب على هذا النجاح أثار مهمة فقد اضطر البرتغاليون إلى إخلاء أسفي و أزمور حيث زال خطرهم في الجنوب و صار بالمكان السعديين التوجه لتحرير المغرب الشمالي و استقبالا لتجار الأجانب و الحصول على الأسلحة الحديثة و هذا النجاح أكسب محمد الشيخ سمعة حسنة و الشهرة و أسلحة حديثة ساعدته في الصراع الذي نشب بينه و أخيه أحمد الأعرج و هنا نطرح السؤال ما هي الدسائس التي فرقت بين الأخوين و أفسدت قلوبهما و ما هي نتائج هذا الصراع ؟

كان أبو العباس احمد الأعرج يمثل السلطة و كان أخوه محمد الشيخ تحت طاعته و واقفا تحت إشارته ، و كان محمد الشيخ ثاقب الذهن نافذ البصيرة مصيب الرأي حازما في أموره فكانت كلمتهما واحدة و قلب واحد ،إلى أن دخلا بينهما الوشاة فأفسدوا ما بينهما حتى أفضى بهما الحال إلى قيام الحرب بينهما ،فانعزل كل منهما بطائفة من الجيش و تقاتلا ،فتغلب محمد الشيخ على أخيه أحمد الأعرج و نزع خاتم الملك من يده و استولى على جميع ما كان يملكه و سجنه هو و أولاده بمراكش سنة 946 هـ و بقي في السجن الى أن قتل الأتراك محمد الشيخ سنة 964 هـ.[1]

أما في "نشر المتاني " أن قبض الشيخ المهدي على أخيه الأعرج كان سنة 951 هـ والأول أصح.[2]

[1]- محمد الصغير الافراني ،**المصدر السابق**،ص 58.

[2]- أحمد بن خالد الناصري ،**المرجع السابق**،ص 19.

الفصل الأول : الأوضاع العامة في مطلع القرن 16م

- أسباب الخلاف بين الأخوين:

نجاح المولى محمد الشيخ في تحرير بعض المراكز الأجنبية بالسواحل و بهذا أصبح أكثر شعبية من أخيه و أجدر منه بحمل لقب المحرر ، و اعتمادا على الرسالة التي بعثها (Henrique de numanda) إلى الملك جان الثالث بتاريخ 4 يونيه 1541 فان الخلاف بين الأخوين قد تفاقم بسبب غنائم سنتا كروز ،و تضيف الرسالة بأن حاكم تارودانت قد منع كل تصدير للبضائع إلى مراكش و إرسال الأسرى ،أنه صادر كل ممتلكات التجار المراكشيين بتارودانت كما أن أقام حراسا عند الممر الجبلي الوحيد الذي يصل بين مراكش وتارودانت، كما أن المولى أحمد طلب من أخيه أن يأتي لمقابلته في ايمنأنوت إلا أن محمد رفض ذلك بدعوى أنه يخشى مجيء حملة برتغالية في غيابه ضد السوس [1] و إلى جانب الخلاف حول الغنائم هناك سبب آخر و هو مسألة ولاية العهد اذ يبدو أن المولى أحمد قد حاول توليه ابنه بدل أخيه المولى محمد ،مخالف بذلك الطريقة التي شنها المولى محمد القائم بأن لا يتولى الحكم إلا كبير العائلة (إنا مولانا محمد الأكبر فقد عهد لأولاده مولانا أحمد و مولانا محمد الشيخ و إخوانهما ألا يتولى الخلافة منهم و لا من أولادهم إلا الأكبر فالأكبر فالتزموا ذلك إلى أن كبر أولادهم فطلب المولى محمد من المولى أحمد الوفاء بذلك فامتنع فقاتله على ذلك .[2]

[1]- عبد الكريم كريم،**المرجع السابق**،ص 65.

[2]-**نفسه** ،ص 66.

3- المطلب الثالث: طور تأسيس الدولة السعدية .

لما استولى محمد الشيخ على مراكش و ذلك من خلال انتصاره على أخيه أحمد الأعرج وسجنه ، طمحت نفسه الاستلاء على بقية بلاد المغرب و قطع جرثومة الوطاسيين ، فجمع الجموع و تقدم بها إلى فاس ،حيث أصبح لايهيب الهزيمة بفضل تفوق قواته العسكرية ، أما السلطان فاس أحمد الوطاسي ،أصبح أشد حرصا من أي وقت مضى على المحافظة على السلم مع البرتغال و الاسبان و كادت هذه الاتصالات أن تنتهي بالاتفاق العواصم الثلاث لولا قيام محمد الشيخ بحملة عسكرية ضد فاس للقضاء على الحكم الوطاسي حيث جرت معركة في الدرنة سنة 1545م انتهت بانتصار محمد الشيخ و أسر ملك فاس الوطاسي وبهذا أصبحت طريق فاس مفتوحة أمام السعديين .[1]

ولعل هذا السبب كان كاف ليتحول النزاع إلى حرب حقيقية انتهت بانتصار محمد الشيخ المهدي و خلع أبي العباس الأعرج سنة 946 هـ / 1540 م حيث أودعه أخوه السجن ، ثم أطلق سراحه بعد اتفاقهما على تقسيم المملكة بينهما ،غير أن أحمد الأعرج سرعان ما نقص تلك الاتفاقية فتجدوا النزاع من جديد فانهزم الأعرج مرة ثانية في معركة الكاعرا سنة 951هـ وأوعز إلى هذا الأخير لاستقرار هو و عائلته بإحدى زوايا سجلماسة و قام بها إلى حين مقتله 964 هـ.[2]

وأول ما ملك من مدائن المغرب مدينة مكناسة افتحها بعد سنة خمس و خمسين و تسعمائة بعد حصار و مقاتلة .[3]

---

[1]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ،**المرجع السابق**،ص 22.

[2]- هوارية بكاي ،برداوية مبحوث ،**المرجع السابق**،ص 125.

[3]- محمد الصغير الافراني ،**المصدر السابق** ص 69.

قال صاحب الدوحة :و لما تغلب على مكناسة و ألح بالمطالبة على أهل فاس جاءه الشيخ أبو الرواين و قال له: اشتري مني مدينة فاس بخمسمائة دينار فقال له السلطان ،هذا الشيء لم تأت به الشريعة فقال و الله لا دخلتها هذه السنة فبقي أشهرا و الأمر لا يزيد عليه إلا تعصبا فقال الأمير أبو محمد عبد القادر لأبيه افعل ما قال لك الشيخ أبو الرواين ،فانه رجل مبارك من أولياء الله تعالى ،و مازال به كذلك حتى أذن له في الكلام معه فكلمة الأمير عبد القادر فقال له ،ادفع المال فدفع له المال ،فقال له عند تمام السنة إن شاء الله يقضي الله الحاجة و عند تمام السنة دخل فاس كما قال الشيخ أبو الرواين .[1]

و قال صاحب " الممتع " و الشيخ أبو الرواين كان أحد الأسباب في تمكن السلطان المذكور من الملك و إخراج بني وطاس عنه ،فانه لما رأى اضطراب أمر الناس و هيجان النصارى على المسلمين جعل ينادي : "... **يا حران جيء فاني قد أعطيتك الغرب...** " و ذلك قبل ظهور السعديين ، و لم يكن الناس يدرون ما يقول حتى ظهر الحران ، و هو أحد أولاد السلطان أبي عبد الله الشيخ ،و هو الذي كان يتقدم للحرب و لم يفتح والده من البلاد إلا ما فتح على يده.[2]

وكان دخول السلطات الشيخ إلى فاس سنة ست و خمسين و تسعمائة و لما دخلها تقبض على الوطاسيين أجمع و بعثهم " **مراكش إلا أبا حسون فانه فر إلى الجزائر**" .

وقال الافراني: " ...**لما دخل الشيخ حضره فاس دخلها و عليه و على أصحابه الدراسات لصفر وسمه البداوة لائحة عليهم فحملوا أنفسهم على التأدب بآداب الحاضرة و التخلق بأخلاقهم يعني حتى رسخ ذلك**".[3]

---

[1]–محمد الصغير الافراني ،**المصدر السابق**، ص 70.

[2]– أبو العباس أحمد الناصري بن خالد الناصري ،**المرجع السابق**،ص 25.

[3]–**نفسه**،ص 25.

الفصل الثاني : تطور الدولة السعدية في ضل حكم السلطان محمد الشيخ

* المبحث الأول : ولاية محمد الشيخ

1- المطلب الأول : مولده ونشأته

ولد محمد الشيخ عام 896هـ /1488م وكان يعرف بالشيخ أو بامغار وهو شيخ البربرية والبربرية تعني اللغة التي كان يتحدث بها البربر ، نشأ في العفاف والصيانة من شيوخه ومن شيوخه علي بن عثمان الشاملي المؤرخ ، علي بن هارون أستاذه في الأدب وعبد الله بن عمر المطغري كان من دعاة السعدية وأبو عبد الله محمد بن أحمد اليستيهي ، ومشاركته في عدة علوم خصوصا التفسير وكان محمد المهدي يحفظ القرآن وديوان المتنبي كما كان ينقض فتاوى بعض العلماء وهذا دليل على الإطلاع الغزير والمقدرة على الاستنباط وكان كثير البر بوالديه كما كان له عدة أولاد أشهرهم الثلاثة الذين تعاقبوا على الملك وهم عبد الله الغالب وعبد المالك المعتصم وأحمد المنصور بالإضافة إلى ابنه البكر محمد الحران الذي تولى القيادة العسكرية في عهده .[1]

- كان محمد الشيخ يمتاز على أخيه أحمد الأعرج بعدة صفات منها الحكمة والذكاء واليقظة والفطنة طيب الخاطر والليونة فأحبه الناس أكثر من أخيه لأنه حرر منطقة السوس من الاستعمار البرتغالي وكان دائما يقدم جميع قواته في المعارك وكانت له فصاحة اللسان وموهبة في الكلام والخطابة .[2]

- قام محمد الشيخ بأعمال حربية ساهمت في توطيد دعائم الدولة السعدية طهر سواحل السوس من الأعداء المسيحيين .[3]

---

[1]- إبراهيم حركات ، **مرجع سابق** ، ص 19 .

[2]- مارمول كربخال ، **إفريقيا** ، **ج1** ، ترجمة محمد حاجي ، مكتبة المعارف الرباط ، المغرب ، د ط ، 1984 ، ص 460.

[3]- محمد الأمين محمد ، محمد علي رحماني ، **المفيد في تاريخ المغرب** ، السنة الثالثة ثانوي ، د د ن ، د ط ، د ت ، ص ص 192-193 .

2- المطلب الثاني : بيعته وتوليه الخلافة

- كان محمد الشيخ واليا على السوس في عهد أبيه وبقي كذالك حين تولى الأمر وأخوه أبو العباس الأعرج ، وكانت القبائل السوس تكن له الولاء والاحترام وكان أخوه الأكبر يستشيره في أمور الدولة فكانت كلمتهما واحدة إلى أن دخل الوشاة بينهما فأفسدوا قلوبهما واقتضى الحال إلى القتال بينهما وها قد أشرنا من قبل .[1]

- وبعدما تخلص السلطان محمد الشيخ من أخيه أحمد الأعرج واستقلاله بالبلاد أقام بالبلاد السوس مثابرا على جهاد العدو البرتغالي والاسباني وفي هذه الفترة كانت مراكش قد توقفت عن بيعته وتربصت عن الدخول في دعوته واستمر الحال إلى سنة إحدى وخمسين وتسعمائة وفي هذه السنة بايعوه أهلها فقدمها واستولى عليها وخلص له جميع ما كان بيدي أخيه المخلوع من تادلا إلى واد النول . [2]

- وقال اليفرني في شرح درك السلوك : كانت بيعة أبي عبد الله المهدي بمراكش سنة 951هـ فاستولى على البلاد التي كانت بيده وبيد أخيه أبي عباس المخلوع .[3]

- وبعدما تم بيعة محمد الشيخ سنة 951هـ من طرف أهل مراكش والسوس وجها نظرته لفتح فاس وفي سنة سبعة وخمسين وتسعمائة ملك محمد الشيخ فاس فبايعه قبائل المغرب وأمنهم واستخدم أهل عرب الغرب في الجندية ووجه عساكر أهل الحوز والسوس لبلادهم واكتفى بعرب أهل الغرب . [4]

---

[1]- شوقي عطا الله جمل ، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب)** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، قاهرة ، ط 1 ، 1977 ، ص 170 .

[2]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، **المرجع السابق** ، ص 22 .

[3]- محمد الصغير الإفراني ، **المصدر السابق** ، ص 69 .

[4]- ابو القاسم الزياني ، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف ، (من النشأة إلى نهاية عد سيدي محمد بن عبد الله)** ، القسم الأول ، دراسة وتحقيق الأستاذ رشيد الزاوية ، مركز الدراسات والبحوث العلوية الرصاني ، اقليم الرشدية ، د ط ، 2013 ، ص 35 .

3- المطلب الثالث : مقتل الشريف محمد الشيخ

- لما بلغ السلطان العثماني خبر انقراض دولة الوطاسيين أرسل رسولا إلى محمد الشيخ يهنئه بالملك ويلتمس منه الدعاء له على المنابر المغرب ، فلما بلغ الرسول العثماني مراكش انزله السلطان المغرب محمد الشيخ على كبير الأتراك وكان هذا الأخير من الأتراك الذين انظموا له بعد سقوط فاس في يده بعد انقراض دولة الوطاسيين فجعلهم جنده وسماهم اليكشارية ، أي العسكر الجديد فلما اطلع السلطان على الكتب وجد به عرض من السلطان العثماني يتضمن الدعاء له على منابر وسك العملة باسمه فانزعج وعاتب الرسول ، فخرج الرسول من عنده مذعورا وركب البحر إلى اسطنبول ولما بلغ السلطان العثماني ما حدث حاول السلطان العثماني أن يرسل حملة إلى المغرب الأقصى لكن الصدر الأعظم راجعه خوفا من أن يستغل الأسبان هذه الفرصة ولعلى هذه من ضمن الأسباب مقتل محمد الشيخ.[1]

ذكر الأستاذ احمد توفيق المدني سببا لاغتيال الشيخ السعدي " ...لكن شوكة الشريف سعدي الذي اشتد أمره وقوى ساعده بمراكش كانت تعلم جنوب الجزائريين ونقص مضاجعهم وخاصة بعد أن نصبو أبا حسون بفاس تحت حمايتهم وبطش به الشريف بطشا جبارة فكيف يتصرفون وهم لا يعرفون ما سيكون موقف الشريف السعدي منهم " وما أكد خوفهم إقدام السلطان شريف السعدي على مفاوضة الأسبان من اجل الوصول إلى اتفاق حربي سياسي ضد الجزائر إلى القضاء عليها وتقسيم أملاكها بينهما وكان هذا الإتفاق سنة 1555 .[2]

---

[1]- أحمد الناصري ، **المرجع السابق** ، ص 35 .

[2]- أحمد توفيق المدني ، **حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر واسبانيا** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د ط ، الجزائر ، ص 360 .

– قام السلطان العثماني بإرسال اثني عشر رجلا وأعطى لهم اثني عشر ألف دينار واتصلوا سرا بصالح الكاهية كبير عسكر الشيخ السعدي ووعدوه بالمال ثم وفدو إلى الجزائر واشتروا ما يلزمهم لسفرهم إلى مراكش حتى دخلوا في حظرت السلطان في فاس فقدمهم صالح الكاهية كبير الأتراك لسلطان السعدي وزينهم لهو في الكلام وأوهموه بأنهم فرو من جند الجزائر فضمهم إلى جيشه وحرسه الخاص من الأتراك ومكثوا فترة من الزمن عنده فلما خرج إلى موضع مكان يقال له أكلكال بظاهر تارودانت [1]، وفي نهاية 964هـ الموافق ل23 أكتوبر 1557م فانتظرو الفرصة المناسبة ولما خرج الشريف من خيمته باكرا لمشاهدة مناورة عسكرية وكان الحراس يحيطون بها وبعد عودته إلى خيمته وبينما كان يهم بالدخول الخيمة اصطدمت قدماه بحبال الخيمة فوقع على الأرض فأسرع صالح الكاهية الرجل المسن البالغ من العمر سبعين عاما ضرب الشريف على عنقه[2] وقطع رأسه بالشاقور وفصل رأسه عن جسده ووضعه في الكيس وقتل الأتراك جميع حراس الشريف بالخيمة التي نصبت على ربوة فوق المعسكر وأخذوا خيول الحراس وتحصنوا بحصن تارودانت بعد إن احتلوها وتحصنوا بها لكن محمد الغالب ابن السلطان محمد الشيخ المغتال هاجم الحصن وحاصره ، ولكن احد اليهود غدر بالأتراك وفتح أبواب الحصن ووقع بين الطرفين القتال ولم ينجو من الأتراك إلا القليل وقتل من الجند الغالب 1200 جندي واستطاع صالح الكاهية ومن معه من بلوغ الجزائر وركوبهم البحر ووصولهم إلى السلطان العثماني وتسليمهم رأس محمد الشيخ ، فأمر بتعليقه على أبواب القلعة في شبكة من النحاس وقد قتل السلطان محمد الشيخ يوم الأربعاء 29 ذي الحجة 964هـ الموافق ل 23 أكتوبر 1557م . [3]

---

[1]– **انظر الملحق رقم 04 ، ص 72** .

[2]– عزيز سامح إلتر ، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا** ، ترجمة محمود علي عامر دار النهظة العربية ، ط1 ، بيروت ، 1989 ، ص 102 .

[3]– أبو عباس الناصري ، **المرجع السابق** ، ص 35 .

الفصل الثاني : تطور الدولة السعدية في ضل حكم السلطان محمد الشيخ

* المبحث الثاني : سياسة السلطان محمد الشيخ السعدي

1- المطلب الأول : السياسة التنظيمية

اهتم محمد الشيخ اهتماما كبيرا في تكوين جيش نظامي فعمل على استكثار الجيش وتسليحه تسليحا ملائما ، من أجل توطيد حكمه ومواجهة الأخطار الخارجية وحماية المغرب الأقصى من الفتن ، على الرغم من أن هذا الأمر جعله بحاجة إلى الموارد المالية لتغطية نفقات الجيش فقد عمل على الاهتمام بالتجارة الخارجية فنشطها وعمل منذ أن كان ولي عهد أخيه على استعادة الحيوية والنشاط الاقتصادي للجنوب المغربي الذي كان قد تأثر تأثرا كبيرا بالغزو البرتغالي .[1]

لقد عمل أبو عبد الله الشيخ على الاهتمام بالتجارة الخارجية فنشطها عبر خطوات منها الاهتمام بزراعة القصب السكري التي أوجد من خلالها مدخولا هاما مع الدول الأوروبية كما أنه عمل على الشؤون الداخلية فنظم الضرائب لضمان المساواة والعدالة بين الأهالي ، فألغى الإعفاءات الكثيرة التي كانت تتمتع بها بعض الفئات الاجتماعية كالمرابطين والأشراف وبعض المناطق المنعزلة وفرض ضريبة الخراج على الأراضي المنتجة والسهل والجبال واستحدث ضريبة سماها النائية وضريبة الرأس .[2]

---

[1]- عمار بن خروف ،**العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري والسادس عشر ميلادي** ، ج 1 ، د ط ، 2006 ، ص ص 60 ، 61 .

[2]- عطا الله الجمل ، **المرجع السابق** ، ص 171 .

الفصل الثاني : تطور الدولة السعدية في ضل حكم السلطان محمد الشيخ

كان محمد الشيخ لا ينزه عنها أحد وعنده الكل سواء وفي هذا الأمر ولكن سياسته الضريبية لم تكن دون معارضة شديدة من قبل السكان ، فالضريبة التي استحدثها ظل المغاربة ينظرون إليها على أنها ضريبة غير شرعية[1] فكان إصراره على تطبيق سياسته الضريبية سببا في قيام ثورات عديدة منها ثورة سكان جبل الأطلس الكبير عام 1547م ، وقد حمل السكان مسؤولية تلك الثورات لشيوخ الزوايا في المنطقة الثائرة فقتل أحدى عشر منهم .[2]

[1]– عمار بن خروف ، **المرجع السابق** ، ص 61 .

[2]– دي طوريس ، **تاريخ الشرفاء** ، نرجمة محمد حاجي وآخرون ، المكتبة الكلية الآداب ، القنيطرة ، د ط ، د ت ، ص 184 .

أما إداريا التي تتعلق بتنظيم شؤون دولته الداخلية التي اختار لها مملكة مراكش[1] عاصمة من مدينة فاس هذه المدينة التي لم يشعر فيها بالاطمئنان ليس فقط خوفا من أهلها الذين ظلت قلوبهم مع الوطاسيين ولكن أيضا من جيرانه الأتراك العثمانيين ، فقد استعان بخبرة الوزير الوطاسي الأسبق قاسم زرهوني الذي علم السعديين كيف يباشرون الأمور مع أعيان القبائل وأكابر القوم وكيف ينعقد الديوان ، ومن يختر به من العلماء والأدباء والكتاب وكيف يكون قعودهم ومنازلهم في المجالس إلى غير ذلك من الأمور[2] إلا أن جهاز محمد الشيخ الحكومي كان معظمه من أهل الجنوب حيث جعل القضاة من أهل السوس ، وقد قسم هذا الأخير المقاطعات المغربية والمدن الرئيسية على أولاده فكانت مدينة فاس تحت إدارته ومدن تارودانت وسلجماسة ومكناسة تحت حكم أولاده الآخرين وكان الجهاز الحكومي يتألف من وزير الكاتب الرئيسي (كاتم السر ، حاجب القهر ، وأمين المال وعديد من القادة مختلف المهمات ، القضاة ، حرس السلطان ، أصحاب الشورى ، الأقارب) .[3]

---

[1] – **أنظر ملحق رقم 05 ، 73 .**

[2] – عمار بن خروف ، **المرجع السابق** ، ص 87 .

[3] – **نفسه** ، ص 87 .

2- المطلب الثاني : مواجهة التمردات

ظل محمد الشيخ طوال فترة حكمه متخوفا من المرابطين وذلك للدور الذي كانوا يلعبونه في المجال السياسي بحيث أن السعديين وصلوا إلى السلطة بواسطتهم ، عمل السلطان محمد الشيخ على فرض عليهم رقابة مستمرة وإخضاع الزوايا إلى التفتيش فأخلى بعضهم ونفى أصحابهم إلى أماكن معينة ومحدودة كسيدي عب الله الكوش الذي أغلق زاويته في مراكش، وأمر برحيله إلى فاس وابن علي الحسن المصباحي ، لم يتردد أيضا في قتل المعارضين لساسته الضريبية كأرباب زوايا الأطلس الكبير وغيرهم ، وكان محمد الشيخ قد ألغى جميع الامتيازات التي كان أرباب الزوايا يتمتعون بها كالإعفاء من أداء الضريبة ولكن هذه المواقف الصارمة التي اتخذها محمد الشيخ اتجاه القوى الدينية كانت نقمة عليه ، وهذا ما نلاحظه بعد عودة أبي حسون إلى حكم فاس سنة 1554م وانسحاب السلطان محمد الشيخ منها بدعم الترك لأبي حسون ستغل السكان هذا الظرف وأعلنوا الولاء والطاعة للوطاسيين وهذا ما جعل محمد الشيخ يبذل كل جهده في السنوات الأخيرة في حكمه والتحرك لقمعه .[1]

وهذا لا يعني محمد الشيخ لم يكن يحاول أبدا كسب القوى الدينية إلى جانبه عن طريق اللين ومعاملة بعض كبار المرابطين كسيدي حمزة المراكشي .[2]

[1]- عمار بن خروف ، **المرجع السابق** ، ص 69 .

[2]- **نفسه** ، ص 69 .

الفصل الثاني : تطور الدولة السعدية في ضل حكم السلطان محمد الشيخ

- موقف محمد الشيخ من القوة القبلية :

اتسم موقف السلطان محمد الشيخ بالشدة والعزم اتجاه القوة الدينية كان موقفه كذلك اتجاه القوى القبلية ولاسيما المتذبذبة في ولائها كقبائل الغرب مملكة فاس وغيرها التي تخلت عنه في معركة كدية قرب فاس التي خاضها ضد حملة صالح رايس وأبي حسون ومالت إلى صفوف هذا الأخير وهذا ما أدى إلى هزيمته والتي قامت بعد ذلك بنصرة أبي حسون ضد جيشه بقيادة ولده عبد الله ، فلما تمكن من القضاء على الدولة الوطاسية في المرة الثانية "... انتزع خيلهم وأرجلهم كافة وضرب عليهم الخراج ونظمهم في سلك الرعايا وغرب أعيانهم ورؤسائهم كافة بأولادهم إلى مراكش ... وجوب الفقر " .[1]

وكان محمد الشيخ يقوم بنقل القبائل من جهة إلى أخرى سواء لتحقيق الأمن وضمان شوكة تلك القبائل أو الاستفادة في خدماتها في الموقع الجديد وهذا نقل على سبيل المثال عرب الرحمن من تفاوست بأقصى جنوب المغرب إلى تامسنا بغرب مملكة فاس ، وهذه السياسة التي اتبعها محمد الشيخ اتجاه القبائل الموالية والمعادية له وكما اتبعها أيضا خلفائه .[2]

[1]- فارس عبد العزيز القشتالي ، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** ، در و تح عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية ، الرباط ، د ط ، د . ت ، ص 109 .

[2]- عمار بن خروف ، **المرجع السابق** ، ص 85 .

3- المطلب الثالث : السياسة التوسعية للسلطان محمد الشيخ

استقر المولى أحمد الأعرج في مراكش عند مطلع سنة 1525م ودخول المولى محمد الشيخ إلى فاس سنة 1549م حيث عرفت الدولة السعدية تطورات هامة مرت بمراحل مختلفة[1] حيث يقول مارمول كربيخال " ... حمل أولاده الثلاثة مشعل الجهاد ورغبة هيمنته تتأرجح في صمودهم فكانت كلمتهم نافذة ودعوتهم مسموعة وأعرب لهم الناس على الولاء والطاعة ولما تعودوا في تسلمهم الزكاة والأعشار ... مال إليهم السكان القبائل العربية وأهل الحواضر فذهبوا يؤدون إليهم الزكاة والأعشار فأجمعت لديهم أموال مكنتهم على الإنفاق على كتائبهم وعلى أنفسهم " .[2]

نولى محمد الشيخ قيادة الرماة وأخوه الأعرج قيادة المشاة وفي هذه الظروف قام محمد الشيخ بالحرص على أمن منطقة (تارودانت) أقبل على تدعيم تحصينها وأرسل جيوشا إلى نيفيلانت ، وقد أمر الجنود بقتل كل من يرفض الولاء لهم ونهب ممتلكاتهم وترتب عن ذلك الزيادة في صفوف الشريف وتوجه هذا الأخير إلى المستعمرات البرتغالية وشكل جيشا مجهزا بالمدافع التي غنم بعضها أثناء المعارك التي خاضها ضد ملك فاس ، وقد حاصر الملك أكادير أيام عديدة فاستسلمت حامياتها وقد حقق هذا الشريف نصرا على المسيحيين .[3]

---

[1]- عبد الكريم كريم ، **المرجع السابق** ، ص 51 .

[2]- مارمول كربيخال ، **المصدر السابق** ، ج 1 ، ص 454 .

[3]- دي طوريس ، **المصدر السابق** ، ص 64 .

ورفعوا هذا النصر إلى مقام مرموق ، أما أخبار الحرب والغنائم الكبيرة التي وقعت بين أيديهم والأسرى الذين عادوا بهم وجل الصدى في الداخل والخارج كانت سببا في زيادة إتباع هذا الشريف من الأعراب والبرابرة وحتى القبائل التي كانت تتعاون مع البرتغاليين أصبحت تكن له الطاعة والولاء إلى درجة أن ملك البرتغال قرر الانسحاب من المنطقة التي أصبحت تكلفه ونخص بالذكر منها أصيلا والقصر الكبير وآزمور .[1]

وكان لهذا العمل انعكاس كبير على الوضعية السياسية للبلاد لأن محمد الشيخ استفاد من ذلك وقد تضاعفت في الأوساط شهرته .[2]

وبعد نجاحه على البرتغال لم يرسل لأخيه الأعرج سوى بعض الأسرى بينما احتفظ بالعدد الكبير منهم الجنود والصناع الذي استفاد منهم في صناعة الأسلحة ، لكن أخاه أحمد الأعرج ألح عليه أن يوافيه بخمس من الغنائم والمدفعية والرماة وبأربعمائة من الأسرى البرتغاليين .[3]

ورفض محمد الشيخ تلبية مطالب أخيه ولم يفلح الوسائط في إقناعه بالاستجابة لأمير مراكش ، لجأ هذا الأخير إلى تحديد موعد لتسوية هذا الخلاف ، لكن محمد الشيخ رفض لقائه لأن انشغالاته لا تسمح بذلك وهذا ما تطرقنا إليه فيما سبق ، فعلم محمد الشيخ بنوايا أخيه ضده فقام بالزحف نحو مراكش على رأس قواته وأمر أبنائه بأن يلتحقوا مع بقية القوات وتمكن من الاستحواذ على مراكش .[4]

---

[1]– مارمول كربيخال ، **المصدر السابق ، ج 1** ، ص 460 .

[2]– **نفسه** ، ص 461 .

[3]– دي طوريس ، **المصدر السابق** ، ص 163 .

[4]– محمود علي عامر ، **المرجع السابق** ، ص 37 .

الفصل الثاني : تطور الدولة السعدية في ضل حكم السلطان محمد الشيخ

رجحت كفة محمد الشيخ لأن معظم قبائل السوس أيدته لأنه عرف خلال إمرته عليها كيف يكسب محبتها وهذا ما أدى إلى انسحاب أحمد الأعرج إلى تافيلانت وانفرد محمد الشيخ بالسلطة ولم يستغل الوطاسيون هذا الصراع وظلوا في موقف الشرفي خوفا من تدخلهم يؤدي إلى التصالح بين الأخوين .[1]

وفي سنة 1545م استأنف محمد الشيخ توسعاته فقد طالب بإقليم تادلة وزحف على الإقليم وحاصر قلعة قشتالة مفتاح إقليم عن طريق مراكش وفاس واستولى عليها[2] ونشبت معركة مع الوطاسيين بقيادة السلطان أحمد الوطاسي وخلال هذه الأحداث برزت شخصية أبو حسون.[3]

لقد عمل محمد الشيخ وأخوه الأعرج على التوسع بالمغرب الأقصى وقد نجحو في توحيد منطقة الجنوب ، كما حدث الصدام بينهما وبين الوطاسيون انتهى بتدخل الصلحاء وإبرام معاهدة بينهما ، كما واجه البرتغاليين وقد نجح السعديون في تحرير المناطق المغتصبة ، وكان محمد الشيخ يطمح إلى الإنفراد بالحكم حيث استغل فرصة القضاء على البرتغاليين بفضل امتلاكه فن الخطابة والانتصارات التي حققها في وجه العداء وانتهى ذلك بفرض هيمنته وتحقيق طموحاته التي كان يسعى من أجلها .[4]

---

[1]– محمود علي عامر ، **المرجع السابق** ، ص 37 .

[2]– محمد الصغير الإفراني ، **المصدر السابق** ، ص 58 .

[3]– أحمد بن خالد الناصري ، **المرجع السابق** ، ص 19 .

* **أبو حسون** : هو الحسن علي بن محمد الشيخ ابن ابي زكرياء يحي بن زيان الوطاسي ويعرف بأبي حسون البادسي بويع بفاس لما قبض عليه ابن أخيه أحمد بن محمد البرتغالي وخلعه . أنظر : أحمد بن خالد الناصري ، **المرجع السابق** ، ج 4 ، ص 119 .

[4]– دي طوريس ، **المصدر السابق** ، ص 163 .

الفصل الثاني : تطور الدولة السعدية في ضل حكم السلطان محمد الشيخ

* المبحث الثالث : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

1- المطلب الأول : الفلاحة

1- الفلاحة في تيدسي : ذكر حسن الوزان أن مدينة تيدسي بلاد منتجة خصبة تنبت فيها كميات معتبرة من الحبوب وقصب السكر وأشجار النيلة وبعض أشجار الزيتون وبعض أشجار الشائكة تثمر حبا كبيرا يشبه الزيتون وفيها نوعين من الزراعة وهما الزراعة المعيشية والزراعة التسويقية .[1]

أ- **الزراعات المعيشية** : يعتمد النشاط الزراعي في تيدسي على الحبوب حيث يأتي في مقدمتها الشعير الذي يدخل في تغذية الإنسان والحيوان على سواء المخصص للنقل والركوب كالخيل والبغال والحمير والجمال .[2]

وعن الحديث عن تيدسي الذي سارع الوزان محمد الشيخ المهدي قال " ... وهذه البلاد منتجة خصبة تنبت فيها كميات من الحبوب والقصب السكري وأشجار النيلة ... " .[3]

وبالإضافة إلى هذه المنتجات هناك منتوج آخر هو الذرة وهو نوع شامي أبيض وهو ثاني المزروعات في تيدسي وضواحيها إلا أنها تعتمد على السقي من العيون التي تنبع من الأطلس الصغير ، حيث تتجمع المياه في صهاريج كبيرة وتقسم حسب ملكية الأرض كما تستغل بقايا الذرة كالعلف للحيوانات خاصة أبقار الحليب إلا أن الذرة تأخر دخولها إلى المغرب .[4]

---

[1]- حسن الوزان ، **المصدر السابق** ، ص 119 .

[2]- عبد الله حاجي ، **المرجع السابق** ، ص 174 .

[3]- حسن الوزان ، **المصدر السابق** ، ص 120 .

[4]- عبد الله حاجي ، **المرجع السابق** ، ص 175 .

وكما تشير المصادر التاريخية القديمة من الإدريسي الذي يؤكد لنا بأن بأنا مدينة تيدسي هي بلد الحنطة الشعير والأرز ممكن بأيسر قيمة وبالإضافة إلى الزراعة المعيشية هناك زراعات أخرى منها الزراعات التسويقية .[1]

ب- الزراعات التسويقية : إذا كان الوزان قد ذكر لنا أن منطقة تيدسي ينبت فيه القصب السكر بكثرة غير أنه سكر أسود لجهلهم بطريقة طبخه وتصفيته كما تنبت فيها كميات من الحبوب والقصب السكري وأشجار النيلة[2] إلا أن الشريف الإدريسي وصفه بكونه " ... قصب السكر الذي ليس على الأرض مثله طولا وعرضا وحلاوة وكثرة الماء ... " .[3]

بالإضافة إلى مدينة تيدسي الذي تعتبر المنطقة الأولى في إنتاج القصب السكري في المغرب إلا أن محمد الشيخ المهدي قد اختط مدينة المحمدية[4] وأذن للناس عامة في إحيائها والغرس فيها قصد عمارتها ورغبة في استيطانها[5] وهي كما قال القشتالي " ... من مشيدات الإمام المهدي قاعدة بلاد السوس أم القرى والأمصار وملاك بلاد السودان ... " .[6]

---

[1]- الإدريسي الشريف ، **مزهد المشاق في اختراق الآفاق** ، مج 1 ، المكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، د ط ، 2002 ، ص 39 .

[2]- حسن الوزان ، **المصدر السابق** ، ص 119 .

[3]- الإدريسي الشريف ، **المصدر السابق** ، ص 40 .

[4]- **المحمدية** : هي تارودانت الحالية أعاد بناءها الشيخ محمد السعدي ، ونقل إليها عاصمة الدولة التي كانت من قبل في تيدسي منشأ الدولة السعدية . أنظر : عبد الله حاجي ، **المرجع السابق** ، ص 170 .

[5]- عبد الله حاجي ، **المرجع السابق** ، ص 176 .

[6]- القشتالي عبد العزيز ، **المصدر السابق** ، ص 182 .

ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه المدينة الناشئة تعرف بالمحمدية التي نقل إليها محمد الشيخ العاصمة بعد الأدوار التي لعبتها مدينة تيدسي في تثبيت دعائم الدولة السعدية وأصبح واحدة من حواضر الثلاثة مراكش وفاس والمحمدية (تارودانت) وقد أسهمت موانئ المنطقة من واد السوس في تطوير الزراعة القصب السكر في بوغانيم[1] وتيدسي وهذا ما أشار إليه ابن العذاري بقوله " ... وذلك أن الساقية الكبيرة ارتفعت من واد السوس إلى تارودانت[2] وعليها عمارة والسكن والرياضيات وكل دار بإزائها رياض وفيها من الأشجار أنواع واتصل هذا المجموع بعضه ببعض في بسط معدل الهواء فسيح الأرجاء ... " .[3]

وما يمكن استنتاجه من الفلاحة في المغرب في عهد محمد الشيخ أنها ساعدت في رفع اقتصاد البلاد والمساهمة في تنظيم الجيش وذلك من خلال الأموال التي كان يحصل عليها من الفلاحة وينفقها على الجيش وبالإضافة إلى رقي المجتمع إلا أن هذا لم يستمر بعد ما عرف المغرب مجموعة من الكوارث أثرت على الفلاحة ، وكانت السبب المباشر في تراجع الاقتصاد في بلاد السوس عامة والتيدسي وضواحيها بصفة خاصة وفي سنة 964هـ كسفت الشمس كسوفا وبعد صلاة الجمعة سنة 977هـ حدث زلزال وفي السنة الموالية قدم الجراد وفي سنة 821هـ وقعت وقعة البارود التي انهدمت بها القبة الواسعة بجامع المنصور وكانت من تنظيم أسرى الناصري .[4]

---

[1]– **بوغانيم** : اسم منطقة توجد شرق مدينة تيدسي وكانت في عهد السعدي حسب المخابرات الشفوية كانت تنتج القصب السكري الذي كان يعتبر المزروع الرئيسي فيها وهي في اللهجة السوسية تعني منطقة وجود القصب السكر . أنظر : عبد الله حاجي ، **المرجع السابق** ، ص 177 .

[2]– **تارودانت** :هي مدينة أسسها الأفارقة الأقدمون تقع جنوب الأطلس الكبير وهي أكبر تحظرا لأن المارينيين عندما كانو ملوكا في فاس بصطوا نفوذهم كذلك على السوس ، واتخذوا تارودانت مركزا لإقامة نائب السلطان في هذا الإقليم وبعد انقراض بنو مرين استعادت تارودانت حريتها

[3]– عبد الله حاجي ، **المرجع السابق** ، ص 177 .

[4]– محمد الصغير الإفراني ، **المصدر السابق** ، ص 107 .

2- المطلب الثاني : الحرف

عرفت منطقة المغرب منذ العصور القديمة بأهمية الموقع الإستراتيجي لدى الحضارات لتوفر الغال وبراعة أهلها في الحرف ، فلقد اشتهر المغرب الأقصى بالعديد من الحرف والصناعات التي كانت بالدرجة الأولى موجهة لخدمة المجتمع فأحصى الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا العديد من الحرف بحسب أقطارها ، حيث نجد العديد من المدن بالمغرب الأقصى كان لها دور الفعال في الإنتاج خاصة مدينة فاس التي يمكن تقسيم الحرف بها إلى ثلاثة أنواع :

1- الصناعة الغذائية : اعتمدت هذه الصناعة على الطاحونة التي تطحن القمح الذي يمثل المادة الأولية لصناعة الخبز وغيره من الأطعمة والمعاصر التي كانت تعصر الزيتون للحصول على الزيت .

2- الصناعة النسيجية : كانت هذه الصناعة تلقى رواجا زائدا في الأسواق الداخلية والخارجية وأهمها

أ- صناعة الملابس : كانت تعتمد على الأدوات التقليدية كالصوف والقطن والحرير .

ب- صناعة الدباغة : كانت تشغل عدد كبير من السكان وأكبر كمية من صادراتها كانت توجه إلى الأسواق الداخلية .

ج- صناعة الأحذية : تنقسم إلى طائفتين ، الطائفة الأولى طائفة الخرازة وهم صانعة أحذية الرجال ، أما الطائفة الثانية وهم صانعو أحذية النساء وكلا الطائفتين كانتا يصدران منتجاتهما إلى الأسواق الوطنية والأجنبية . [1]

[1]- محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي ، **حلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير متناهية** ، ج 1 ، دار أبي الدقران للطباعة والنشر ، المملكة المغربية ، ط 1 ، 2005 ، ص 48 .

3- الصناعة المعدنية : ظلت هذه الصناعة محافظة على قوتها مثل جميع أنواع الصناعات لقد تطورت هذه الصناعة مع مرور الوقت فيصنع الحداد مقهاة الإسكافيين ومحلات الدباغين والمسامير والسلاسل ، أما صانعو الأسلحة فاقتصر عملهم على صناعة الخناجر والسيوف والبنادق وغيرها من الأدوات البسيطة .[1]

[1]- محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي ، **المرجع السابق** ، ص 49 .

3- المطلب الثالث : الوضع الاجتماعي

عرف المغرب الأقصى حياة متفاوتة تختلف بين منطقة وأخرى والبادية والمدينة إلا أن أهل البادية أغلبيتهم من العرب اعتادوا العيش في الخيام ورعي الإبل والأنعام مرتحلين بين المراعي يعيشون على القمح والشعير الذي يردهم وعلى ألبان النوق والتمر ، لباسهم كسائر العرب يدل على حالهم من العناء وقسوة البيئة على أحوالهم .[1]

أما عن سكان الجبال والسهوب فهم مزيج وخليط من العرب والأمازيغ فالعرب يسكنون غالبا في السهول ويستحوذون عليها ويلحقونها بأملاك القبيلة ويعيشون على زراعة الأراضي لكن هذه القبائل تختلف في الثرية ، فالقبائل الثرية تحوز على الأراضي الخصبة ولها عدد وافر من الأنعام ومن العرب من بلغت به الحاجة والفاقة إلى الإغارة والنهب وقطع الطريق حتى تتمكن قبيلة من البقاء ، أما عن أهل الجبال فغالبيتهم من الأمازيغ يسكنون طورا من الصخر والتراب ويلبسون لباس خشن تقيهم شدة البرد في الشتاء أرضهم تصلح لزراعة الأشجار المثمرة وهي عندهم وافرة كشجر الزيتون .[2]

كما تشكل القبائل تجمعا يرأسها شيخا مقدما ذات نسب وعلم ويتواصل أهل الجبال بأهل السهول فيجتمعون في الأسواق الأسبوعية ويشتري أهل الجبل مايلزمهم وكذلك أهل السهول أما عن أهل الحواضر من المدن فنجد بها مزيجا من الأعراق ومنزلته من المجتمع ويتمايز لباسهم ففيهم الحرفيون والتجار وهؤلاء أحسن حالا من غيرهم ، كما نجد الفقراء والأيتام الذين يتكفل بهم أهل الصلاح والخير وبالمدينة أعلاهم منزلة الفقهاء والقضاة والأمراء .[3]

---

[1]- حسن الوزان ، **المصدر السابق** ، ص 59 .

[2]- **نفسه** ، ص 59 .

[3]- **نفسه** ، ص 68 .

المكونات الاجتماعية لزاوية تيدسي : عرف الهرم الاجتماعي في تيدسي نوع من التراتبية بين مجموعة من العناصر البشرية التي تباينت في إسهاماتها ، يمكننا حصرها في ست فئات نحددها كالآتي : الأعيان ، شيوخ الزوايا ، الشرفاء في تيدسي ، العنصر البربري الأمازيغي ، العنصر العربي ، اليهود والزنوج .[1]

[1]– عبد الله حاجي ، **المرجع السابق** ، ص ص 26 ، 35 .

الفصل الثالث : العلاقات الخارجية للسلطان محمد الشيخ

* المبحث الأول :العلاقة مع اسبانيا والبرتغال

1- المطلب الأول : العلاقة مع اسبانيا :

كان الأسبان يحتلون السواحل الشمالية المطلة على البحر المتوسط مثل مسليله وباديس وعضاضة ولم تكن أيدي السعديين قد وصلت إلى هذه المناطق الواقعة تحت سيادة الوطاسية وبعد سقوط عاصمة فاس في أيدي السعديين ، اتجهوا إلى تحرير الموانئ الواقعة في قبضة الأسبان لكن الظروف الداخلية المغربية دفعت محمد الشيخ إلى صرف النظر عن تحرير هذه الموانئ حيث بقيت تحت تصرف الأسبان دون تحريرها ، حيث كانت نظرة محمد الشيخ قطع الطريق على العثمانيين للسيطرة على المغرب بعد معارك تلمسان ووصولهم إلى فاس مدعمين بأبي حسون الوطاسي ضد محمد الشيخ[1] وبمجرد القضاء على الوطاسيين عقد محمد المهدي حلفا مع الأسبان يتعاونان بموجبه على طرد العثمانيين من الجزائر[2] وكان هذا التفاوض بين إسبانيا والمغرب في 15 ماي 1555م الموافق ل 23 جمادى الثاني 962هـ بالقصر الملكي في فاس حول مشروع اتفاقية للتعاون وكان لكل من الطرفين رغبة في تحقيق هذه الاتفاقية فإن إسبانيا تعلم جيدا عن تصدي العثمانيين لها عملا بمقتضى الاتفاقيات الفرنسية ، كما أن محمد الشيخ قد فهم ما يمكن أن يجتنيه من الأتراك وهذا يثبت لنا بأن كلا الطرفين له أهداف ومصالح مشتركة ضد الأتراك العثمانيين .[3]

---

[1]- عبد الفاتح مقلد غنيمي ، **موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المغرب العربي بين بني حفص وبيني زيان وبني مرين ، ج 5** ، دراسة في التاريخ الإسلامي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط 1 ، 1414هـ - 1994م ، ص 330 .

[2]- إبراهيم حركات ،**المرجع السابق** ، ص 343 .

[3]- عبد الفاتح مقلد غنيمي ، **المرجع السابق ، ج 5** ، ص 323 .

وقد جرت المفاوضات بين عاهل المغرب وإسبانيا بواسطة بحميدة حيث طالبت السفارة الإسبانية أن يتحمل المغرب نفقة الحملة الإسبانية ، وقد قبل المغرب أن يدفع إلى كل من عشرة آلاف مقاتل ثلاثة مثاقيل في كل شهر وهو المبلغ لذي استصغره البعثة واستمرت الاستشارات من غير أن يتوصل الطرفان إلى نتائج ملموسة على ما قلناه في العلاقات المغربية الاسبانية ، وبعدها غادرت البعثة مدينة فاس يوم 18 جويلية 1555م لترفع تقريرها إلى كونت حاكم وهران .[1]

وحسب التعليمات الصادرة من فايادو لكونت كويدت حاكم وهران ،حيث أبرم هذا الأخير هدنة مع السلطان محمد الشيخ لمدة عشر سنوات أو حتى أقل ، ودعمت إسبانيا الشريف السعدي باثني عشر ألف من المشاة ،ينزلون في ميناء الذي اختاره الشريف ، على أن يؤدي راتب هؤلاء الجنود المشاة وبالمقابل يتنازل للإسباني عن الموانئ التي يرغبون فيها وعدم السماح محمد الشيخ باستقبال أي سفينة لدولة أجنبية ولا يسمح للمسيحيين باحتفاظ بأسرى المسلمين سواء كانوا من الأتراك أو من المغاربة وأخيرا فإن التعليمات تعطي لكونت الحرية في التصرف بما يراه .[2]

أما في سنة 1557م الموافق ل 964هـ جاءت وثيقة تتضمن مطالب السلطان محمد الشيخ من أجل الموافقة على إبرام الاتفاقية .[3]

[1]– عبد الفاتح مقلد غنيمي ، **المرجع السابق** ، ص 28 .

[2]– أحمد توفيق المدني ،**المرجع السابق** ، ص 361 .

[3]– عبد الهادي التازي ، **المرجع السابق** ، ص 29 .

إن السلطان المغربي يلتزم بأداء أجور الجند إبتداءا من يوم نزولهم بالتراب المغربي ، على أن لا يتعدى ذلك ثلاثة مثاقيل شهريا ، كما يلتزم بأداء نفقات إصلاح السلاح التالف وستترك الموانئ المسترجعة للمملكة المغربية ويحتفظ بابن لكونت رهينة لدى ملك المغرب وسيبرم هذا الاتفاق مع قبطان وهران الذي سيكون له صفة القائد العام للحملة .[1]

[1]– عبد الهادي التازي ، **المرجع السابق** ، ص 29 .

2- المطلب الثاني : العلاقة مع البرتغال

إن حادثة استرجاع فاس إلى حكم السعديين 23 سبتمبر 1554م كانت نقطة تحول هامة في تاريخ الدولة السعدية الناشئة ، فالمولى محمد الشيخ ظهر كخصم عنيد للأتراك العثمانيين ومن المعارضين لسياستهم التوسعية في بلاد المغرب ، وأعلن هذا التحدي بعد دخوله إلى فاس ، بأنه عازم على الذهاب إلى الجزائر لمنازلة الأتراك عليها[1] وهذا التنافس السعدي العثماني على شمال إفريقيا بل وعلى الخلافة الإسلامية كان في صالح إسبانيا والبرتغال ، ولا عجب إذ رأينا بعد ذلك تقارب بين هؤلاء جميعا ضد الأتراك العثمانيين وأول وثيقة من النصوص التاريخية نستدل بها على هذا التقارب هي الرسالة التي وجهها الملك جان الثالث إلى ضابط المازكان البرتغالي في شهر جويلية 1554م ، جوابا على الطلب الذي تقدم به المولى محمد الشيخ إلى كل من مدريد ولشبونة لمده بقوات عسكرية ضد الأتراك العثمانيين وفي هذه الرسالة نجد بعض الشروط التي يشترطها البرتغاليون لمساعدة السعديين ومنها تسليم بعض المراكز المغربية البحرية لهم : كبادسوالبينيون والعرائش وتمويل القوات المسيحية التي سيرسلها لمساعدته وأخيرا يختم الملك رسالته بضرورة إخبار الإمبراطور الإسباني بذلك .[2]

لقد كانت المصالح المشتركة بين المغاربة والبرتغاليين تلتقي مع السعديين إزاء الأخطار التركية العثمانية التي كانت تحيط بالمغرب وتفترق عندما يطرأ مايشغل العدو المشترك العثماني ، ورغم ذلك فقد كانت العلاقات السياسية بعد ذلك ودولتي شبه أيبيريا تحكمها عدم الثقة باستمرار وبانقضاء وخاصة بعد نهاية حكم محمد الشيخ وتولي ابنه عبد الله الغالب الحكم .[3]

---

[1]- عبد الكريم كريم ،**المرجع السابق** ، ص 83 .

[2]- **نفسه** ، ص 83 .

[3]- عبد الفاتح مقلد غنيمي ، **المرجع السابق** ، **ج 5** ، ص 830 .

ونتيجة لهذا التقارب فقد عقدت الهدنة بين السعديين والبرتغال بواسطة حاكم ماسكان لمدة ستة أشهر وذلك في مطلع سنة 1555م وإن ظل في الواقع مفعول هذه الهدنة زمنا طويلا.[1]

[1]– عبد الكريم كريم ،**المرجع السابق** ، ص 83 .

الفصل الثالث : العلاقات الخارجية للسلطان محمد الشيخ

* المبحث الثاني : العلاقة مع إنجلترا وفرنسا وهولندا

1- المطلب الأول : العلاقة التجارية مع إنجلترا

بعد انقراض الوطاسيين وبروز قوة جديدة هم أشراف السعديين من جبال الأطلس في الجنوب لتحل محل الوطاسيين ، وفي عام 1551م عقد التجار الإنجليز أول اتصالاتهم مع المغرب ومن هنا بدأت العلاقة بين البلدين واستمرت دون انقطاع إلى الحقبة المعاصرة .[1]

دفع هؤلاء إلى السعي لعقد ذلك الاتصال ما علموه عن المتاجر التي كان يتبادلها البرتغاليون من مستعمراتهم مع المغاربة ، رغم أن حجم هذه التجارة كان محدود غير أن القصص انتشرت عما يجلبه المغاربة من الذهب والسكر ونترات البوتاسيوم التي تستخدم في صناعة البارود وهذا ما دفع تجار الإنجليز إلى السعي للمشاركة في هذه التجارة التي كان يتم فيها أيضا الحصول على ريش النعام والشمع واللوز وكل السلع القابلة للبيع كما كتب المعاصرون.[2]

وقد قامت أول رحلة إنجليزية إلى المغرب عام 1551م اشتركت فيها سفينتان إحداهما هي << ليون أوف لندن >> التي كان يقودها الكابتن توماس ويندان ، وكان في نفس الوقت قائدا للرحلة ، وتمت الرحلة الثاني في العام التالي تحت قيادة ويندان أيضا وانضمت ثلاث سفن هذه المرة ومول الرجلين عددا من تجار لندن ، وقد غادرت السفن الثلاث بريس تول في أوائل ماي 1552م اتجهت إلى آسفي وهي محملة بالأقمشة والمرجان والكهرمان بنوعه الأصفر والأسود وغيرها من البضائع .[3]

---

[1]- ب . ج روجر ، **تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900م** ، تر : دكتور يونان لبيب رزق ، شركة جديدة دار الثقافة ، الدار البيضاء (المغرب) ، ط 1 ، 1401هـ - 1981م ، ص ص 38 ، 39 .

[2]- عبد الهادي التازي ، **المرجع السابق** ، ص ص 27 ، 28 .

[3]- ب . ج روجر ، **المرجع السابق** ، ص 39 .

وفي أسفي تم إنزال بعض البضائع لنقلها إلى مراكش ثم استأنفت القافلة رحلتها إلى أغادير محملة ببقية البضائع ، ومنها حصلت السفن الراجعة في المقابل حمولتها على السكر البلح واللوز وهي الحمولة التي بيعت في لندن لدى عودة القافلة إليها في أكتوبر عام 1552م.[1]

وكانت بداية العلاقات التجارية بين البلدين ناجحة وذات عائد وفير حيث ثبت أن كل بلد يستطيع أن يمد البلد الآخر باحتياجاته ، فعلى الناحية المغربية رأى السلاطين أنهم بإمكانهم من خلال هذه العلاقة الحصول على السلاح والذخيرة ، كما رأى التجار إمكانية الحصول على الأقمشة الإنجليزية التي يتزايد الطلب عليها يوما بعد الآخر ، أما على الناحية الأخرى فقد اهتم الإنجليز بنترات البوتاسيوم المغربي الذي يمتاز بنوعية متفوقة بالإضافة إلى السكر الذي يتزايد عليه الطلب في أوروبا خلال القرن السادس عشر ، ومن المعلوم أن السلاطين السعديين قد استزرعوا مساحات واسعة في جنوب مراكش وأوكلوا إدارة تلك المزارع إلى اليهود وقد حقق تصدير السكر على هؤلاء السلاطين دخلا عظيما ، وبقيت التجارة على هذا الحال إلى غاية معركة واد المخازن 1578م ثم انقلبت الأوضاع التي كانت لها تأثير على العلاقات بين الدولتين .[2]

---

[1]– ب . ج روجر ، **المرجع السابق** ، ص 39 .

[2]– نفسه ، ص ص 40 ، 41 .

2- المطلب الثاني :العلاقة الفرنسية الهولندية

دخلت فرنسا مجال العلاقات الدولية مع المغرب الأقصى منذ البدايات الأولى لحكم الأسرة السعدية ، وكانت بداية العلاقة مصالح تجارية نظرا لأنها كانت بعيدة عن الصراع الساخن في المغرب والبحر المتوسط ، حيث الصراع المغربي البرتغالي والإسباني ، ولم تكن لفرنسا ذلك الوقت مصالح عسكرية أو العمل على اغتصاب أملاك الإمارة السعدية خاصة في عهد محمد الشيخ السعدي ، ولكنها كانت تريد أن يكون لها دور في العلاقات الدولية الكبرى بالمغرب ، وأن تستبدل أحد الأقطاب الأيبيرية ، ويكون لها دور مشارك من منطلق المصالح الاقتصادية والتبادل التجاري ودخول إمداد المغرب بالأسلحة .[1]

منذ الأيام الأولى لظهور السعديين في مراكش سمعنا عن وجود جان باكي لون وهو تاجر من ليون في باريس 1543م – 950هـ ، حيث كان فرانسوا الأول يفكر في إمداده إلى المغرب لدى الشريف السعدي من أجل التفاوض معه حول تزويد فرنسا بالمعدن الأبيض (القصديري) في مقابلة المعدن الصالح لصنع المدافع [2]، وعندما استولى السعديون على عاصمة فاس يوم 24 شوال 961هـ الموافق ل21 سبتمبر 1550م ، قامت فرنسا باستئناف علاقتها بالمملكة المغربية ، وهنا دخلت فرنسا في توثيق صلتها بالدولة العثمانية التركية .[3]

---

[1]- عبد الهادي التازي ، **المرجع السابق ، مجلد 8** ، ص 161 .

[2]- نفسه ، ص 26 .

[3]- **الدولة العثمانية** : تأسست في آسيا الصغرى (تركيا) ، وكانت عبارة عن إمارة صغيرة ثم تطورت إلى إمبراطورية واسعة ذات ممتلكات شاسعة موزعة بين قارات العالم القديم حيث جاوزت روسيا والنمسا في أوروبا ، وضمت كل من البلقان ماعادا اليونان (رومانيا ، بلغاريا ، المجر ، الهرسك ، الجبل الأسود) ، كما امتد نفوذها إلى بلدان عربية الأسيوية والإفريقية ولو اسميا وينتسب العثمانيون إلى قبيلة قاب والتي كانت عند بداية القرن السابع هجري الموافق للقرن 13 ميلادي تعيش في كردستان وتزاول حرفة الرعي ، أنظر : د إسماعيل ياغي ، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** ، مكتبة العبيكان ، ط 2 ، 1998 ، ص ص 9 ، 10 .

لكي يكون لها منفذا في بلاد المغرب من واقع السيطرة العثمانية[1] ، على هذه الأقطار ولابد أن يكون لها دور تلعبه في بلاد شمال إفريقيا ، وهذا التواجد يكون مقدمة لنشاطها وهذا دليل على أن العلاقة العدائية التي كانت بين محمد الشيخ من أسبابها الرئيسية التحالف الفرنسي العثماني ضد السعديين .[2]

[1]– عبد الهادي التازي ، **المرجع السابق** ، ص 163 .

[2]– **نفسه** ،ص28.

الفصل الثالث : العلاقات الخارجية للسلطان محمد الشيخ

* المبحث الثالث : العلاقة مع الدولة العثمانية وإيالة الجزائر

1- المطلب الأول : علاقات السلطان مع الدولة العثمانية

لقد تزامن ظهور الشرفاء السعديين كسلطة جديدة في المغرب ،وبداية استقرار السلطة العثمانية في شمال إفريقيا وخصوصا في الجزائر أدى إلى سوء العلاقة بين الدولتين، فمسألة الوصول إلى المغرب بالنسبة للباب العالي مسألة خاضعة لمنطق التوسع العثماني الهادف غلى توحيد الأمة الإسلامية ،وتثبيت الخلافة الإسلامية كما كانت عليه أيام الدول الإسلامية السالفة بنو أمية وبنو عباس، وخصوصا وأن العثمانيين كانوا يعدون أنفسهم ورثة لتلك الدول. أما بالنسبة للدولة السعدية الناشئة فالأمر مختلف. فقد اعتاد المغرب منذ القرن الثاني هجري، أن يسير أموره بنفسه، وتبعية لدولة مركزية في المشرق أو الأندلس. لذلك فإن ظروف التأسيس وصعوبة البدايات جعلت السعديين الأوائل يتعاملون مع الأتراك بنوع من الصلابة[1]، أما العثمانيون فلم يروا في السعديين الأوائل إلا نوابا عنهم في القيام بوظيفة الجهاد، ومحمد الشيخ في نظرهم حاكم لولاية فاس[2]، كما جاء في إحدى مراسلات السلطان القانوني لمحمد الشيخ، واعتباره له كأحد حماة الدين وإنعامه عليه ببعض الخلع دون أن يعني ذلك اعتراف منه به أو معاملته على أنخه سلطان دولة مستقلة، لذلك ظلت الدولة العثمانية تراقب كل ما يجري في المغرب السعدي وتتدخل كل ما سمحت الفرصة لها[3].

---

[1]- فهد السويكت ، **مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية** ،مجلة جامعة الملك سعود ،الرياض، 2006م، ص185.

[2] - خالد فؤاد طحطح، **العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن 16م**، المجلة التاريخية الفوسطات. (د،ت).

[3] - فهد السويكت، **المرجع السابق**، ص185-186.

وعلى النقيض من ذلك لم يعترف محمد الشيخ لا بالتفوق السياسي ولا العسكري للباب العالي، كما ان السلطان العثماني لم يكن له أدنى شك في أحقيته بخلافة المسلمين، لذلك اكتفى بمطالبة محمد الشيخ بمجرد ذكر اسمه في الخطب والعملة اعترافا منه بالدولة وهذا الاعتراف إسميا، يحفظ مظهر الوحدة الخارجي للبلاد الإسلامية، المرتبطة بشكل أو بآخر مع الخلافة الإسلامية في إسطنبول.[1] حين كان محمد الشيخ[2] يطعن في استحقاق الملوك العثمانيون للخلافة ويرى في مطالبة بذكر اسمهم مساسا بسيادته وخيانة للأمة المغربية، التي بايعتهم على السمع والطاعة لها أمير للمؤمنين لا غيره ولو ادعى الخلافة الإسلامية [3].

كان خضوع عدد من القطار الإسلامية للأتراك في نظر محمد الشيخ إنما هو سبب التسلط والقهر ومنكر لا يقرون علي[4].

كان على السعديين أن يختاروا بين الموقفين، إما العودة إلى العلاقات المهادنة والتحالف مع العدوين التاريخين البرتغال والاسبان وتغليب المصالح المشتركة أو الاستمرار في الأخذ بالعلاقات الوحدة الجهادية الإسلامية وتغليب روح التضامن الجهادي في صف العثمانيين

تجلت مظاهر العداوة بين الطرفين (السعدي والعثماني) حول مسألة الخلافة الإسلامية ، وقد ذكرنا سابقا ان السلطان المغربي استحوذ على فاس 1549م، وقد التجأ أبو حسون الوطاسي إلى العثمانيين في الجزائر لطلب مساعدتهم ضده، وبذلك تبتدئ مرحلة الصراع العثماني السعدي[5].

---

[1] – فهد السويكت ، **المرجع السابق** ، ص186.

[2] – محمد العربي الزبير ،**المرجع السابق** ،ص52.

[3] – فهد السويكت ،**المرجع السابق**، ص186.

[4] –**نفسه**، ص187.

[5] – دي طوريس دييغو، **المصدر السابق**، ص127.

وقد اهتم السلطان القانوني بما يجري على حدود إمبراطورية من الغرب، فأرسل خطابا إلى السلطان المغربي، وقد تضاربت الآراء في شأن استقبال محمد الشيخ لرسول، يذكر المؤرخ عزيز سامح التر أن المبعوث الذي أرسل إلى المغرب دخل بدون استئذان الأمر الذي أغضب السلطان هو تصرف هذا الرسول، وما أغاظه كثيرا هو أسلوب ومضمون الرسالة التي وصلته من الباب العالي وخاصة مخاطبة له بشيخ العرب وصيغة الأمر الموجهة إليه ومما جعله يطرد السفير من مجلسه[1].

أما المؤرخ محمد غربي فيذكر أنه عندما وصل السفير تأخر محمد الشيخ في استقباله، ثم أذن له بالمثول له وأبقاه واقفا، وكان قوله عن السلطان العثماني تحقير وتحدي له: " **سلم على أمير القوارب سلطانك وقل لهم ان سلطان المغرب لابد أن ينازعك على محمل مصر، ويكون قتاله معك عليه وإن شاء الله يأتيك إلى مصر وسلام**"[2].

إن الرسالة التي بعثها السلطان سليمان إلى المولى محمد الشيخ، التي من شأنها إطلاق سراح الأمير الوطاسي، قد عنونت إلى عاملنا رئيس العرب محمد الشريف وكاد أن يقتل السفير[3]، ونذكر بعض مقاطع هذه الرسالة التي جاء فيها: " إلى جانب العالي الأميري الكبير الاكرمي... الحسبي النسبي نسل السلالة الهاشمية فرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصابة العلوية...حاكم ولاية فاس الشريف محمد دام علوه وزاد سموه..." احتفظت الرسالة لمحمد الشيخ بألقاب نسبة الشريف لكن من ناحية سياسية تدرجه في درجة حكام الولايات تحت لقب حاكم ولاية فاس[4].

---

[1]– محمد سامح التر ،**مصدر سابق**، ص177.

[2]– محمد غربي، **بداية الحكم المغربي في السودان**، ج1، مؤسسة الخليج لطباعة، دط، (دت)، ص92.
لتوضيح اكثر انظر :مؤرخ مجهول، ، **المصدر السابق**، ص31.

[3] – دي طوريس، **المصدر السابق**، ص128.

[4] – فهد السويكت، **المرجع السابق**، ص188.

إن الرسالة التي بعثها الباب العالي إلى السلطان المغربي، هي عبارة عن فرمانات اعتبر السلطان من خلالها بأن السلطان محمد الشيخ خادما من خدامه ،وأن المغرب من منظور السلطان سليمان يعتبر ولاية عثمانية ومحمد الشيخ مجرد حاكم فيها. دخل محمد الشيخ في صراع مسلح ضد الأتراك، وذلك منذ أن أصبحت للسعديين حدود مجاورة للأتراك في الجزائر منذ 1549م، ويرجع ذلك إلى رفض محمد الشيخ بالاعتراف بالسلطان العثماني وإلى قيامه بمهاجمة الأتراك في شرق المغرب وفي تلمسان.[1]

وكان محمد الشيخ قد انتصر على الأتراك في وجدة، ولاحقهم وأخرجهم من تلمسان في عام 1551م، وتوغل في نواحي الغرب الجزائري ووصل إلى مستغانم، وول على تلمسان نائبا عنه وترك بها حامية مغربية لكنه لم يلبث أن فقد هذه المكاسب في عام 1552م، إثر هجمات الأتراك على أنصار محمد الشيخ واستعمالهم المدافع ضدهم[2].

لقد كان محمد الشيخ ينظر إلى الأتراك كغرباء ومتسلطين وكان يطعن في خلافة العثمانيين ويرى نفسه بها أحق منهم لتوفر شروطها فيه دونهم، وقد ظهرت جليا فكرة الخلافة عنده بعد أن تمكن إرساء قواعد الدولة، ويذكر سويكت أن الأفراني ترجم طموحاته بقوله: " لما تغلب محمد المهدي على المغرب ودانت له حواضره وبواديه، تاقت همته العلية إلى بلاد المشرق فكان يقول لابد لي أن اذهب إلى مصر واخرج منها الأتراك من أجحارهم وأنازلهم في ديارهم، فتخوف منه السلطان سليمان .....فانتهى ذلك غلى السلطان فبعث إليه أرساله فلم يحفل بهم"[3].

---

[1] – عبد العزيز القشتالي، **المصدر السابق**، ص30.

[2] – دي طوريس، **المصدر السابق**، ص168–172.

[3] – فهد السويكت، **المرجع السابق**، ص189.

بعث الأتراك الفقيه أبى عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي في عام 1553م لمفاوضة سلطان المغرب محمد الشيخ من اجل عقد إتفاق بين الدولتين، وعقد إتفاق لتحديد مناطق الحدود بينهما، لكن لم تسفر هذه المفاوضات عن نتيجة[1].

كان محمد الشيخ رده على الرسول سلم على امير الحواتة سلطانك وقل له: " إن سلطان المغرب لابد ان ينازعك على محمل مصر"، وكان مضمون هذه الرسالة مطالبة السلطان محمد الشيخ بذكر اسم السلطان العثماني في المنابر والدعاء له، وكتابة اسمه على سكته[2].

ويعلق المؤرخ المغربي عبد الكريم كريم على ان جواب محمد الشيخ على رسالة باب العالي دليلا قويا على انه لم يكن يرى شرعية الخلافة العثمانية. كما يعكس الجواب مدى طموح الشيخ الذي كان يحلم بإمامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها[3].

لقد كان رد الفعل التركي على مواقف محمد الشيخ قويا، فقد استجابوا الدعوة الوطاسيين، وتمكنوا من إخراج السعديين من تلمسان و وجدة والوصول إلى مدينة فاس في عام 1554م، وإعادة أبي حسون الوطاسي إلى السلطة بعد أن انهزم أمامهم محمد الشيخ وفر إلى مراكش، ورغم أنه تمكن من استرجاع فاس واجبر القوات التركية على التراجع نحو الجزائر في أواخر عام 1554م، إلا أن العلاقات ظلت متوترة بين الطرفين، وتجنبا لأي تدخل عسكري تركي في المغرب أخذ محمد الشيخ يتقرب ويتعاون مع العدو الاسبان والبرتغال[4].

---

[1] – شوقي عطا الله الجمل، **المرجع السابق**، ص171.

[2] – فهد السويكت، **المرجع السابق**، ص188.

[3] – عبد الكريم كريم، **المرجع السابق**، ص85.

[4] – عبد العزيز القشتالي، **المصدر السابق**، ص30.

يمكن القول بأن استعادة فاس إلى حكم السعديين كانت نقطة تحول مهم في تاريخ الدولة السعدية، فالسلطان محمد الشيخ قد طهر كخصم عنيد للأتراك ومن المعارضين لسياستهم التوسعية في بلاد المغرب بل وأكثر من ذلك انه أعلن إثر دخوله إلى فاس منتصرا بأنه عازم على العودة إلى الجزائر لمنازلة الأتراك هناك، فهذا التنافس السعدي العثماني على شمال إفريقيا، بل وعلى الخلافة الإسلامية كان لصالح الاسبان والبرتغال[1].

الذين رحبوا بهذا الموقف من السعديين وأرسلوا رسولا غلى محمد الشيخ بشأن عقد اتفاق بينهم يهدف إلى طرد الأتراك من شمال إفريقيا نهائيا، وقد وافق السلطان المغربي على ذلك، لكنه طلب من الاسبان تزويد بعشرة ألاف جندي مسلح بالبنادق وأن تتحمل هي رواتبهم، بحجة أن المسحيين سيستفيدون اكثر من الفاسيين إذا طرد الأتراك من شمال إفريقيا[2].

لكن العثمانيين من جهته حاولوا إقناع محمد الشيخ بالاعتراف بالتبعية لهم، وأرسلوا إليه سفيرا يعيدونه بالمساعدة بمحاربة المسحيين، شريطة ان يعترف بالسيادة العثمانية والدعوة للسلطان العثماني على منابر المغرب وكتابة اسمه على السكة لاجتماع كلمة المسلمين واتفاقهم، ويذكر ان السفير نفسه كان الخروبي وهذا في عام 1556م، الذي أخبر محمد الشيخ بإنعام الباب العالي عليه وعلى أولاد الثلاث، وأبلغه أيضا ضرورة الابتعاد عن العدو المشترك[3].

غير أن تلك السفارة لم تفلح وربما يعود السبب في ذلك إلى النجاح الذي حققته المفاوضات المغربية الاسبانية، والتي جعلته متصلبا أمام مطالب العثمانيين[4].

---

[1] – عبد الكريم كريم، **المرجع السابق**، ص83.

[2] – عزيز سامح إلتر، **المرجع السابق**،ص ص193–194.

[3] – محمد رزوق، **دراسات في تاريخ المغرب**، ، د د ن ، إفريقيا الشرق، ط 1 ، 1991 ، ص 19 .

[4] – فهد السويكت، **المرجع السابق**، ص192.

الفصل الثالث : العلاقات الخارجية للسلطان محمد الشيخ

تحدث المصدر مارمول عن العلاقات العثمانية المغربية والصراع السعدي الوطاسي واستعانة الوطاسيين، بالعثمانيين، وتدخل هؤلاء الآخرين بشؤون المغرب، إلى غير ذك من الأحداث بين الجانبين لكنه لم يشر إلى أطماع محمد الشيخ في المشرق ولا مراسلاته السيئة مع العثمانيين[1].

إن المؤرخين المغاربة خاصة المعاصرين يؤكدون على المبادرة السلمية من الجانب العثماني الذين اعلنوا للحاكم السعدي عن كراهيتهم للحرب الدائرة بين الأتراك والمغاربة[2].

وتأكيد على حسن النوايا تم عزل حسن باش حاكم الجزائر لميله إلى العنف وعدم مراعاة حسن الجوار[3]، وتعيين صالح رايس ليعمل على المصالحة وحسن الجوار لكن هذا الأخير لم يلتزم على الإطلاق بتعليمات الباب العالي[4].

فشلت جميع المحاولات الدبلوماسية،أ التي قام بها الأتراك لدى محمد الشيخ للدخول في طاعتهم واتضح للأتراك التعاون السعدي مع البرتغال ضدهم، مما جعلهم يفكرون في غزو المغرب وقد عدلوا إلى تدبير مؤامرة لاغتيال السلطان المغربي يوم الأربعاء 23 أكتوبر 1557م[5].

---

[1] – مارمول كربخال، **المصدر السابق، ج1**، ص489-491.

[2] – فهد السويكت، **المرجع السابق**، ص193.

[3] – محمد غربي، **المرجع السابق**، ص91.

[4] – فهد السويكت، **المرجع السابق**، ص91.

[5] – عبد العزيز القشتالي، **المصدر السابق**، ص90.

يرى المؤرخ ابراهيم حركات ان السلطان العثماني هو من لجأ إلى تدبير مؤامرة اغتيال محمد الشيخ، وذلك بعد فشل جميع محاولاته، في احتواء السلطان السعدي الذي بدوره لم يفكر بالاعتراف بالسيادة العثمانية ولو بشكل رمزي، بحيث أرسل بإشارة من حاشيته جماعة من الأتراك لاغتيال السلطان المغربي وفي هذه الأثناء اهتدى أحد اتباع الباب العالي، إلى فكرة بعث أحد ضباطه واسمه صالح إبن كاهية إلى المغرب متظاهرا بفراره من الجيش العثماني واتصل هذا الضابط بمحمد الشيخ فألحقه بأتباعه، وصار من كبار مستشاريه، ثم لاحقت جماعة من الأتراك بالشخص المذكور لتنفيذ المهمة وسلموه خطابا من سليمان القانوني يأمره فيه بقتل السلطان المغربي وانضمت هذه الجماعة إلى حاشية محمد الشيخ، وقد عمل على الاحسان إليهم ودعا شيوخ القبائل إلى الإكرام لهم وظلوا يلازمون المولى إلى أن تمكنوا من مهاجمته واغتياله، بكلاكل قرب ترودانت، ثم حملوا رأسه إلى البلاط العثماني، وبقي معروضا بباب القلعة بالعاصمة إلى أن اتصل أبناه بالباب العالي فسلمهما إياه[1].

إن مؤرخي الدولة السعدية قد كرسوا كتاباتهم حول مسألة مشروعية الخلافة للسعديين ونفيها عن غيرهم ،أ فالحكام السعديين نظرا لأصلهم العربي ونسبهم الشريف كانوا يعتبرون دولتهم بعثا وتجديدا للخلافة الهاشمية المنقرضة، وأنهم أحق بخلافة المسلمين من الأتراك العثمانيين الذين هم جملة من المماليك والموالي[2].

[1] –إبراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص282.

[2] – علي التمكروتي، **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تق وتح عبد اللطيف الشادلي، الملكية الرباط، د ط،2002، ص135.

2- المطلب الثاني : علاقة السلطان مع إيالة الجزائر

- حملة الجزائر على المغرب :

لقد كان من نتائج استيلاء محمد الشيخ على فاس سنة 956هـ وقبضه على بني وطاس وفرار أبي حسون إلى الجزائر وطلبه المساعدة لاسترجاع حكمه بفاس ، ووعد صالح رايس بأن يعطي الجنود الأتراك أجرا يوميا ، كما وعده بالتنازل له عند النفائس والكنوز التي توجد بقصور فاس بعدما يسترجع العرش .[1]

وتنفيذا للاتفاق المبرم بين الطرفين ، خرج صالح رايس على رأس قوات تتألف من أربعة آلاف تركي مجهز بعدد حربي ومعززة باثنتي عشر مدفعا وضم بعض الجنود الآخرين[2] ومن جهة أخرى جهز محمد الشيخ جيشا وخرج من فاس والتقى الجمعان في تازة فكان الانتصار فيها للجزائريين وأبو حسون الوطاسي انتصارا كبيرا ، لأن كثير من قادة ملك المغرب الأقصى اتفقوا مع أبي حسون على الانتقال إلى جانب أتراك الجزائريين خلال المعركة أثناء انسحاب المغاربة .[3]

لقد نجح أبو حسون بمساعدة أتراك الجزائريين بعد معارك عديدة من دخول فاس عام 961هـ/ 1553م وفر محمد الشيخ السعدي إلى مراكش وطلب المساعدة من قبائل السوس لقتال أبو حسون .[4]

---

[1]- كاربخال مارمول ، **المصدر السابق** ، **ج 2** ، ص ص 482 ، 483 .

[2]- صالح العقاد ، **المغرب العربي** ، (**دراسة في تارخه الحديث وأحواله المعاصرة**) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، (د -ط)، (د-ت)،ص 121 .

[3]- شوقي عطا الله الجمل ، **المرجع السابق** ، ص 176 .

[4]- محمود علي عامر ، محمد خير فارس ، **المرجع السابق** ، ص 42 .

وبالمقابل تخلى أبو حسون عن كنوز محمد الشيخ للعثمانيين وعن ميناء بنون دوفلييز الذي عين يحي صالح حاكما عليه وأعطى له المال وبعد تنصيب أبو حسون على رأس فاس عاد صالح رايس إلى بلاده تاركا بعض جنوده لهذا الملك لكن أبا حسون طردهم لسوء تعاملهم معه .[1]

على الرغم من انهزام محمد الشيخ وخروجه من بلاد فاس إلا أنه أعاد الكرة وواجه أبو حسون الوطاسي[2] ، وتقابل الجيشان وقام بينهما قتال عظيم أسفر عنه قتل أبي حسون الوطاسي وإعادة فاس إلى الحكم السعدي سنة 1554م ،[3] وقد أعلن نفسه خليفة على المغرب وتلقب بالمهدي وأمير المؤمنين ووضع حد للمطامع العثمانية ، ونصب إبنه عبد الله على فاس وغادر متوجها إلى مراكش وكان خوفه من الأتراك ولمواجهة الخطر العثماني أخذ محمد الشيخ يتقرب من الدول الأوروبية ويتعاون بصفة خاصة مع الإسبان والبرتغال والخصوم العثمانيين .[4]

تمكن صالح رايس بعد مكوثه في فاس لمدة أربع أشهر ضمان الاستقرار لأبي حسون وإخلاصه للعثمانيين وحكامها في الجزائر وبعدها قرر الرجوع للجزائر تاركا حامية في جزيرة بادس تضمن إخلاص أبي حسون .[5]

---

[1]– أحمد توفيق المدني ، **المرجع السابق** ، ص ص 343 ، 344 .

[2]– مؤلف مجهول ،**المصدر السابق** ، ص ص 20 ، 21 .

[3]– عزيز سامح إلتر، **المرجع السابق** ، ص 193 .

[4]– **نفسه** ، ص ص 193 ، 194 .

[5]– أحمد توفيق المدني ، **المرجع السابق** ، ص 342 .

- تدخل السعدي الثاني في تلمسان :

انتهز محمد الشيخ فرصة اضطراب أمور العثمانيون في مدينة الجزائر منذ عدة شهور لاحتلال تلمسان وتمكنت قواته من احتلال المدينة بسهولة ، إذ كانت حاميتها العثمانية صغيرة تتألف من نحو 500 جندي فقط وهذا ما أدى بها إلى الانسحاب إلى الحصن والاعتصام فيه في انتظار الوصول المدد من الجزائر ، وعجزت القوة السعدية التي كانت تفتقر إلى المدفعية لاقتحام الحصن ، فاستمرت تحاصر الحامية دون جدوا وعين حسن بن خير الدين باشا على رأس حكومة الجزائر العثمانية للمرة الثانية ، حيث وصل إلى الجزائر في شهر جوان وكان يهدف لطرد السعديين من تلمسان وفك الحصار على حاميتها والتخلص من محمد الشيخ .[1]

جهز حسن باشا فور وصوله إلى الجزائر حملة تتكون من ستة آلاف جندي ، سار بهم برا بينما أرسل المدفعية بحرا مع ثلاثة آلاف جندي على متن أربعين قطعة بحرية في طريقه إلى مستغانم التحق به حوالي 16 ألف من المشاة والخيالة ، لكن قبل وصوله إلى تلمسان غادر ملك المغرب هذه المدينة خوفا من الهزيمة وذلك في شهر أوت 1557م .[2]

أرسل حاكم الجزائر فوجا يتكون من 12 رجلا بقيادة صالح كاهية لاغتيال محمد الشيخ فتوجهت جماعة إلى فاس على هيئة تجار ، ثم توجهوا إلى مراكش متظاهرين أنهم فروا من سلطانهم ورغبوا في خدمة محمد الشيخ ، وقبلهم الملك السعدي وأمر بإكرامهم ظن أنهم سيساعدونه في احتلال الجزائر ، واستمر الحال في خدمتهم لمحمد الشيخ إلى أن جاءت الفرصة في إحدى تحركات السلطان بجبل درن بالأطلس الكبير ووجد الأتراك المرافقون له.[3]

---

[1]– صالح العقاد ،**المرجع السابق** ، ص 126 .

[2]– عمار بن خروف ،**المرجع السابق** ، ص 148 .

[3]- عزيز سامح إلتر ، **المرجع السابق** ، ص 102 .

فرصة تسمح بقتله وقطعوا رأسه يوم 29 ذي الحجة 964هـ الموافق لـ 23 أكتوبر 1557م لقد ذكرنا مقتله بالتفصيل فيما سبق .[1]

نستنتج مما سبق أن العلاقات الجزائرية المغربية عرفت نوعا من الهدوء والترقب مع بداية عهد البايلرباي ، وذلك راجع إلى أن هذه الفترة عرفت انشغال كل طرف بتنظيم شؤونها الداخلية خاصة إذا تعلق الأمر بالقوى المهيمنة ، لكنها شهدت بعد سنة 1549م تحول جذري في العلاقات فقد عرفت هذه السنة اندلاع الصراع بين الطرفين .

[1]– عزيز سامح ألتر ،**المرجع السابق** ، ص 102 .

- خاتمة :

بعد دراستنا لهذا الموضوع المتعلق بشخصية محمد الشيخ السعدي خلال الفترة حكمه الممتدة مابين (1540-1557) الموافق ل (946-964) توصلنا من خلاله الى جملة من النتائج و الملاحظات التي يمكن حصرها فيما يلي :

- قامت الدولة السعدية في المغرب الأقصى مع مطلع القرن العاشر هجري و السادس عشر ميلادي التي كان من دعائمها أصحاب النفوذ الديني ، الذين كانوا يهتمون على الجبهات لتحقيق الهدف المنشود ، ألا وهو طرد الاسبان و البرتغال من المدن المغربية الساحلية .

- قام احمد الأعرج بالتواصل على حساب الوطاسين أما أخوه محمد الشيخ فقد حقق انتصارات باهرة على البرتغال و طردهم من معظم المدن المغربية الساحلية منها اسفي وازمور... أو في هذه الظروف شبت النزاع بين الأخوين تحول إلى صدام عسكري كان هذا الصراع على مسألة العرش ، وقد انفرد محمد الشيخ بالحكم خصوصا انه كان متفوقا على أخيه ماديا وعسكريا .

- حكم السلطان السعدي محمد الشيخ في الفترة الممتدة ما بين(1540-1557 م) ، وقام خلالها بإنجازات مكنته من توطيد ركائز السلطة السعدية في المغرب الاقصى .

- سعى هذا السلطان إلى القضاء على معارضيه وذلك من خلال مراقبتهم باستمرار أصحاب الزوايا و الشيوخ الطرق الصوفية حتى لا تكون مهدا لأي حركة ، كما انه دخل في نزاع مستمر مع الوطاسيين وكانت نهايتهم على يده عام 1554 م .

- تمكن السلطان السعدي من إجلاء وطرد الصليبين من المدن المغربية الساحلية ، التى كانت بمثابة قواعد لهم ، وبعد اكتشاف طريق راس الرجاء الصالح عمل على تامين طريق نحو إفريقيا و الهند .

الخاتمة

– قام المولى محمد الشيخ السعدي من توحيد المغرب الأقصى تحت راية الدولة السعدية وقام بإصلاحات بالمنطقة وسن العديد من القوانين ، كما استحدث الضريبة لكي يتمكن من توفير المستحقات الجيش .

– أدى ظهور الشرفاء السعديين و الأتراك العثمانيين في شمال إفريقيا إلى خلق توتر بين القوتين خاصة وان السلطان محمد الشيخ السعدي كان يحمل اتجاههم العداء و الضغينة باعتبارهم غرباء متسلطين على المغربين الأوسط و الأدنى ، وكان يعتبره أعاجم لا تصح لهم إمامة المسلمين ، و تجوز لمن له نسب الأشراف ، وهذا ينطبق عليه .

– لم يفكر محمد الشيخ بالاعتراف بالخلافة الإسلامية العثمانية ، ورغم محاولة السلطان سليمان القانوني بالدعوة له على المنابر وضرب اسمه على العملة إلا انه كان يجيبه كل مرة سألاقيك على محمل مصر .

– يعد السلطان محمد الشيخ السعدي المؤسس الفعلي لدولة السعدية كما انه خصم العنيد للأتراك ، وكان يطمح إلى التوسع على حسابهم .

– إن طموحات محمد الشيخ السعدي كانت اكبر من إمكاناته وهو ما أدى إلى إغتياله 23 أكتوبر 1557 م الموافق ل 29 ذي الحجة 964 هـ .

الملحق رقم : 01

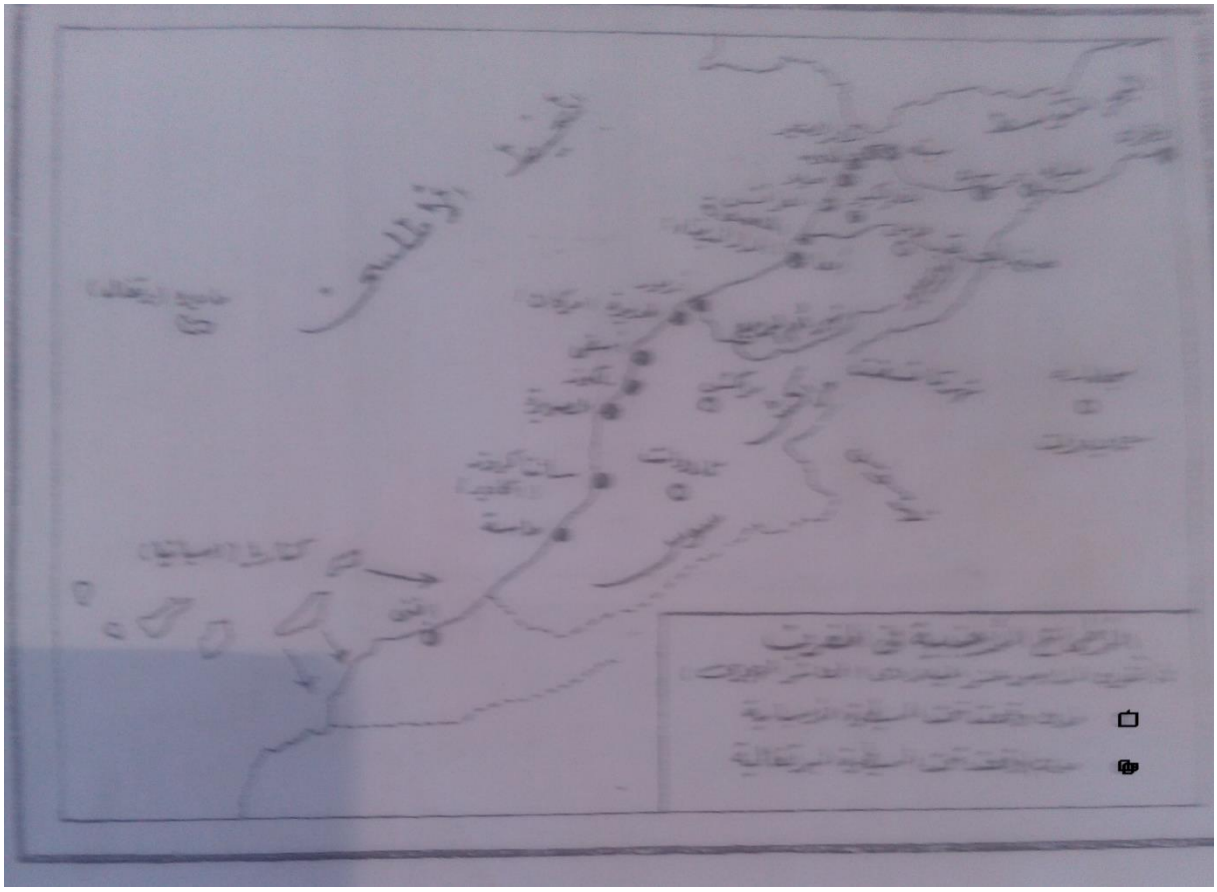

– شوقي عطا الله الجمل ، **المرجع السابق** ، ص 486 .

الملحق رقم : 02

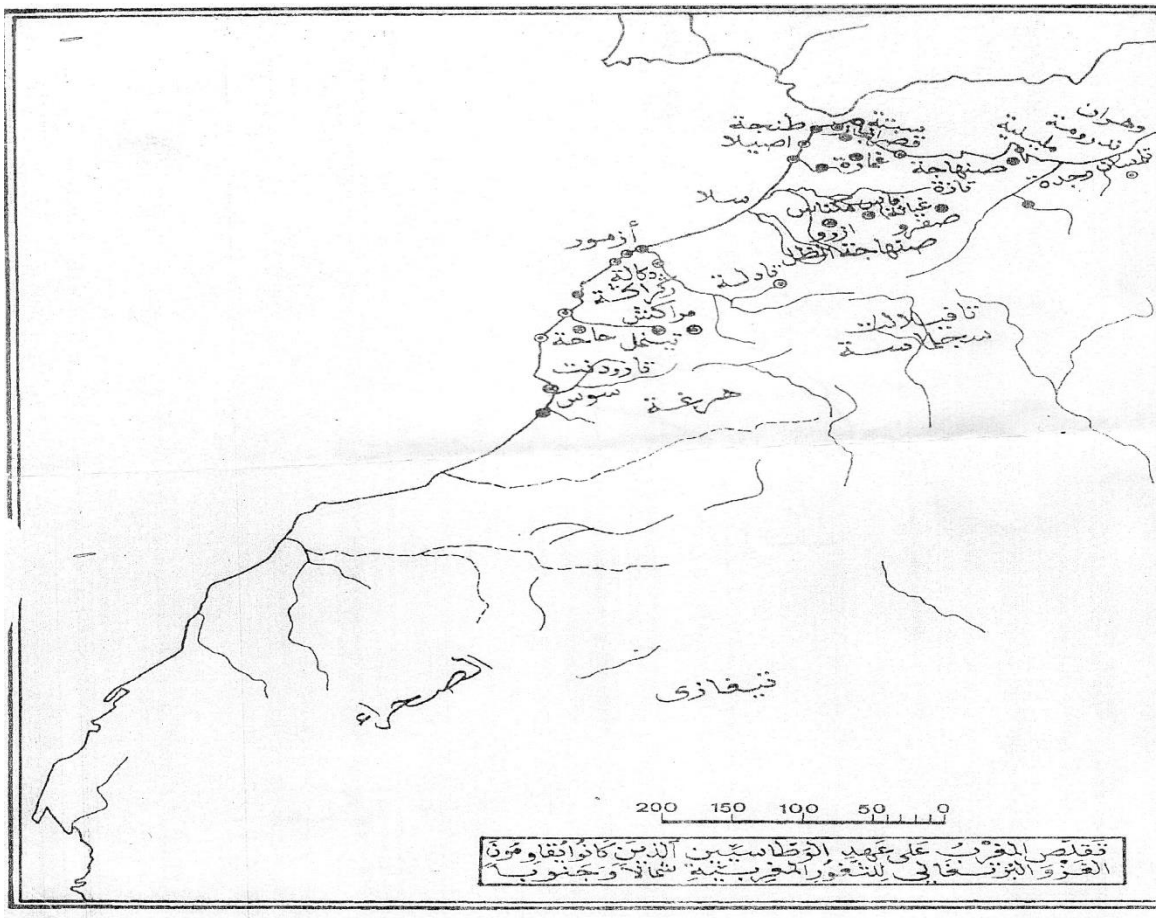

- عبد الهادي **التازي** ، **المرجع السابق** ، **مج 07** ، ص 327 .

الملحق رقم : 03

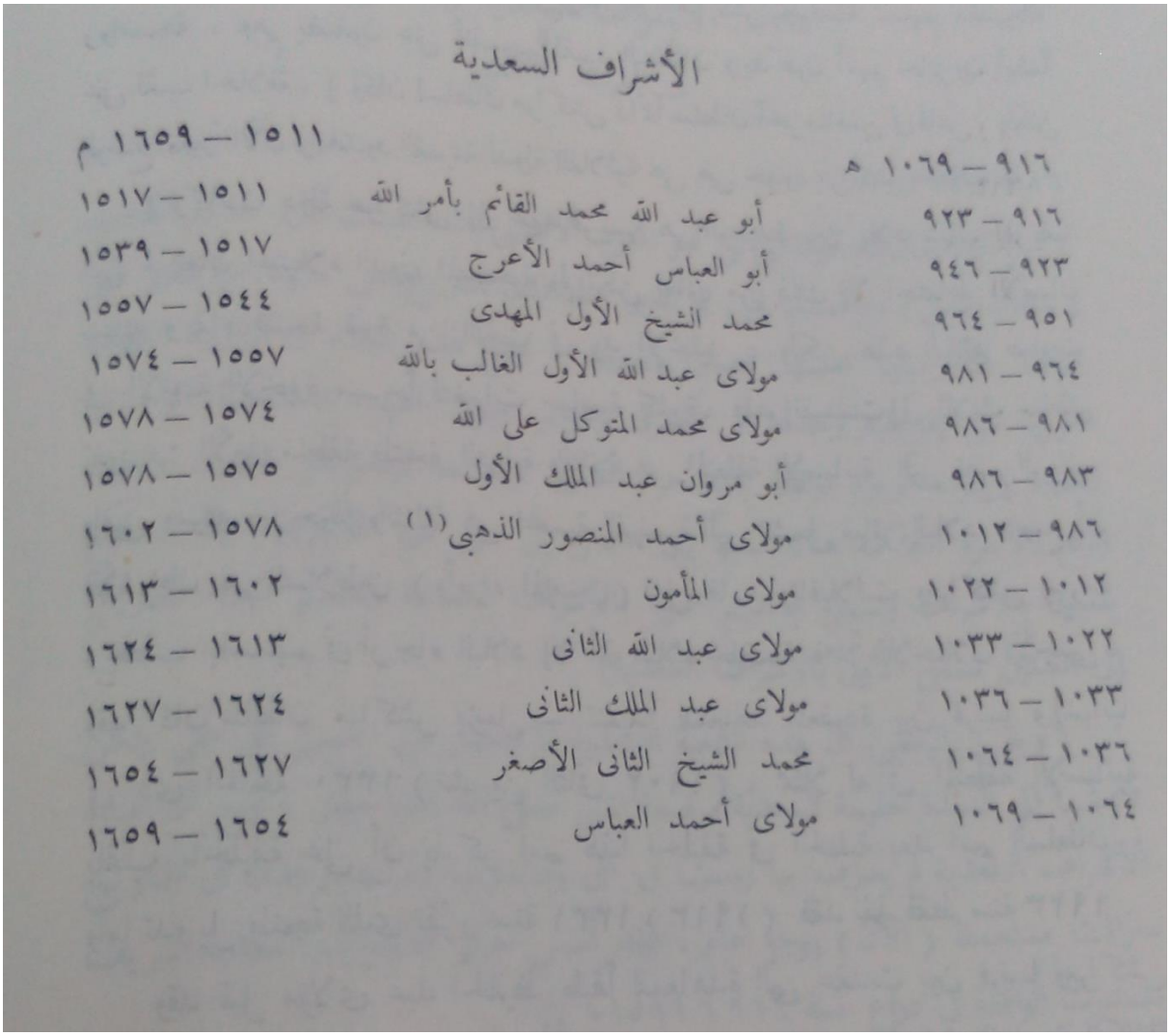

الأشراف السعدية

٩١٦ – ١٠٦٩ هـ		١٥١١ – ١٦٥٩ م
٩١٦ – ٩٢٣	أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله	١٥١١ – ١٥١٧
٩٢٣ – ٩٤٦	أبو العباس أحمد الأعرج	١٥١٧ – ١٥٣٩
٩٥١ – ٩٦٤	محمد الشيخ الأول المهدى	١٥٤٤ – ١٥٥٧
٩٦٤ – ٩٨١	مولاى عبد الله الأول الغالب بالله	١٥٥٧ – ١٥٧٤
٩٨١ – ٩٨٦	مولاى محمد المتوكل على الله	١٥٧٤ – ١٥٧٨
٩٨٣ – ٩٨٦	أبو مروان عبد الملك الأول	١٥٧٥ – ١٥٧٨
٩٨٦ – ١٠١٢	مولاى أحمد المنصور الذهبى[1]	١٥٧٨ – ١٦٠٢
١٠١٢ – ١٠٢٢	مولاى المأمون	١٦٠٢ – ١٦١٣
١٠٢٢ – ١٠٣٣	مولاى عبد الله الثانى	١٦١٣ – ١٦٢٤
١٠٣٣ – ١٠٣٦	مولاى عبد الملك الثانى	١٦٢٤ – ١٦٢٧
١٠٣٦ – ١٠٦٤	محمد الشيخ الثانى الأصغر	١٦٢٧ – ١٦٥٤
١٠٦٤ – ١٠٦٩	مولاى أحمد العباس	١٦٥٤ – ١٦٥٩

– محمد العربي الزبيري ، **المرجع السابق** ، ص 94 .

الملحق رقم : 04

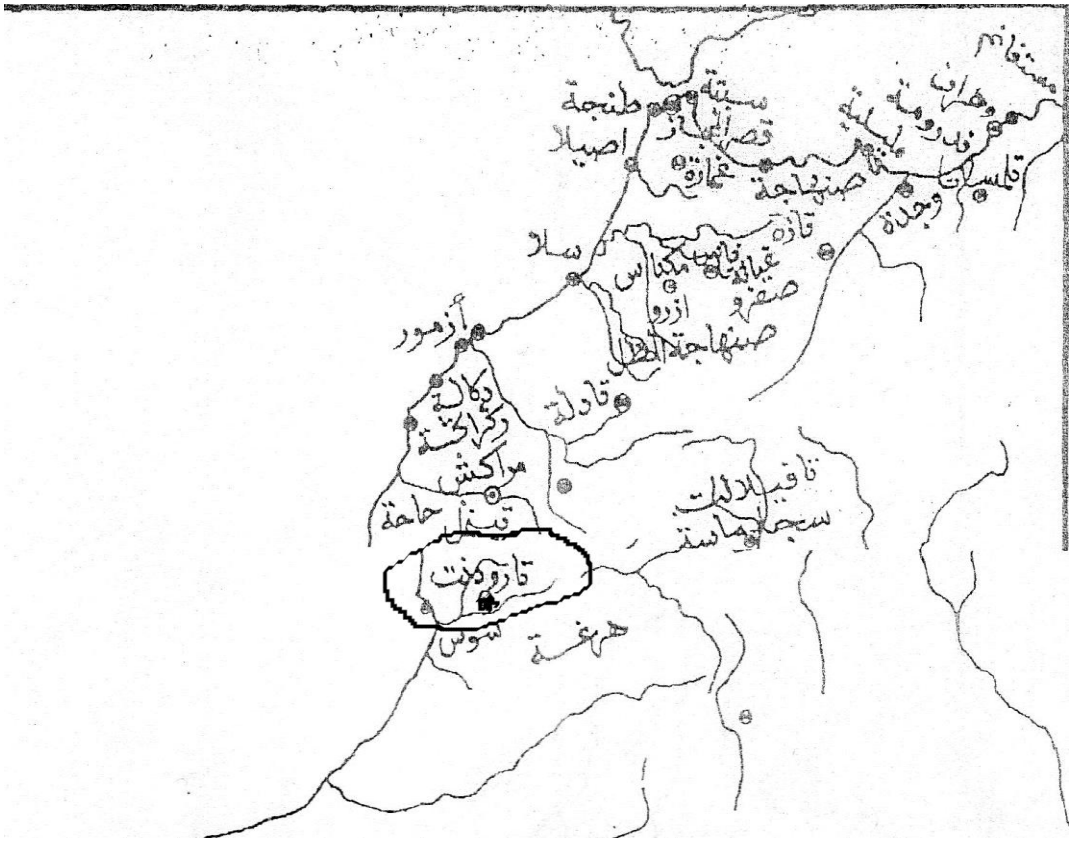

توضيح مدينة تارودانت

- عبد الهادي التازي ، **المرجع السابق** ، ص 07 .

الملحق رقم : 05

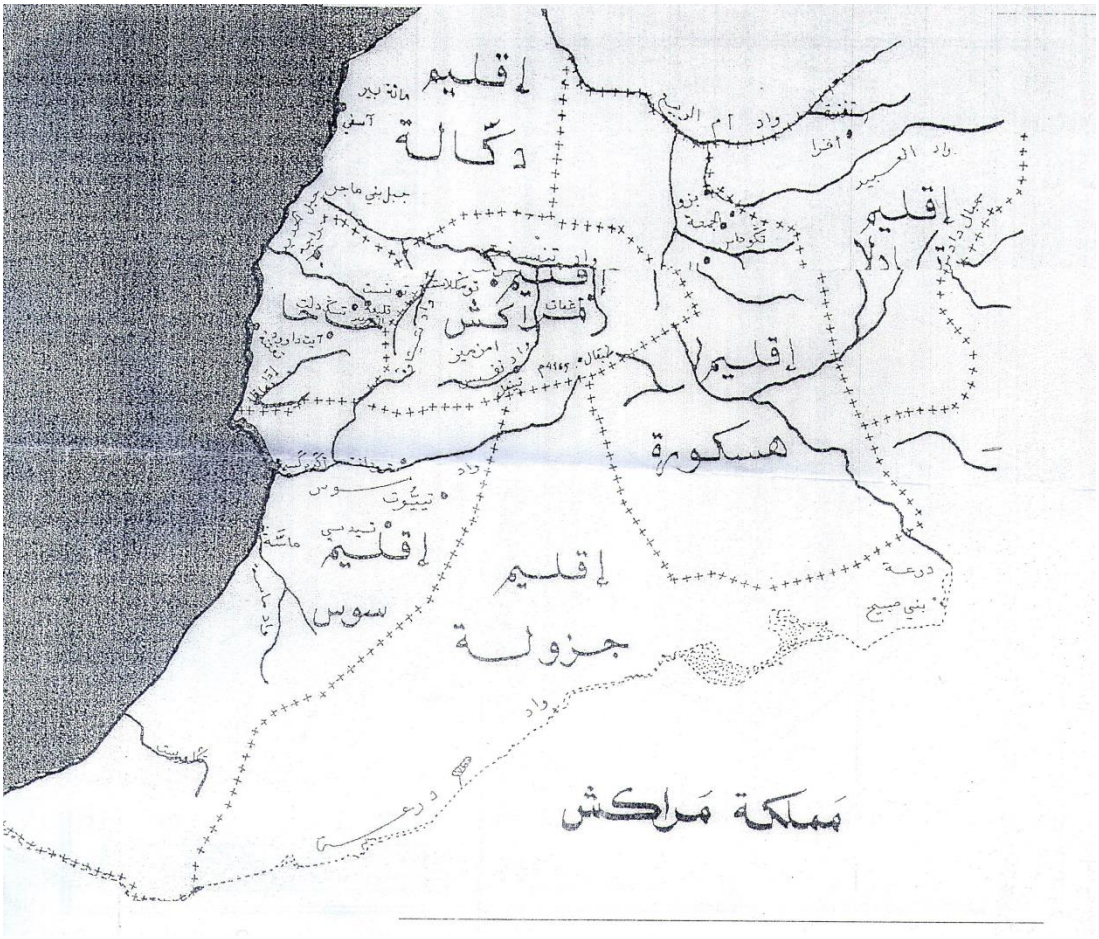

– حسن الوزان ، **المصدر السابق ، ج1** ، ص 94 .

قائمة المصادر والمراجع :

أ- المصادر :

1- الإدريسي الشريف،**نزهة المشتاق في اختراق الأفاق** ،مج1،المكتبة الثقافية الدينية،القاهرة،(د-ط)،1422هـ،2002.

2- الإفراني محمد الصغير،**نزهة الحادي للإخباري ملوك القرن الحادي** ،تر عبد اللطيف الشاذلي،مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء،المغرب، ط 1 ، 1998 .

3- دي طوريس دييغو،**تاريخ الشرفاء** ،تر محمد حاجي وأخرون ،مكتبة ،كلية الأداب ، قنيطرة،(د-ط)،(د-ت).

4- التمكروني علي،**النفحة المسكية في السفارة التركية**،تح عبد اللطيف الشاذلي،ملكية،الرباط،(د-ط)،2002.

5- القشتالي عبد العزيز أبي فراس، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**،تر عبد الكريم كريم،مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية،الرباط،(د-ط)،(د-ت) .

6- كربخال مارمول ،**إفريقيا**،ج 2 ، تر محمد حجي،مكتبة المعارف،الرباط،(د-ط)، 1984.

7- كربخال مارمول ،**إفريقيا**،ج1،تر محمد حجي،مكتبة المعارف،الرباط،(د-ط)، 1984.

8- الوزان حسن ، وصف إفريقيا ، ج 2 ، تر محمد حاجي وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، ط 3 ، 1983 .

9- الوزان حسن ،**وصف إفريقيا**،ج1 ،تر محمد حاجي،محمد الأخضر،،دار الغرب الإسلامي،لبنان، ط 2 ، 1983 .

10- مؤرخ مجهول ، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية ، تح عبد الرحيم بن حادة ، دار تينمل للطباعة والنشر ، مراكش ، ط 1 ، 1994 .

ب- المراجع :

1- إتربوري جون ، أمير المؤمنين **(الملكية والنخبة السياسية المغربية)**،عبد العني أبو العذب،عبد الأحد السبتي،عبد اللطيف القلق،مؤسسة الغني،الرباط،المغرب، ط3.،2013.

2- احمد اق كوندز،د سعيد اوزتوك،**الدولة العثمانية المجهولة،وقف البحوث العثمانية**،دط،2008.

3- بن خروف عمار ، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي** ، ج 1 ، د ط ، د د ن ، 2006 .

4- تازي عبد الهادي ، **تاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدام العصور إلي اليوم،عهد بني مرين و الو طاسيين**،مج7،الهيئة العامة للمكتبة الاسكندرية،(د-ط)،1998.

5- حاجي عبد الله،الدولة السعدية،**آليات التطور ومظاهر التدهور سوس بين (1510-1609)**،إفريقيا الشرق،المغرب،(د-ط)،2013.

6- حركات إبراهيم،**المغرب عبر التاريخ من بداية المرنيين إلي نهاية السعدين**،ج2،دار الرشاد الحديثة،(د-ط)،(د-ت).

7- رزوق محمد،**دراسات في تاريخ المغرب**، إفريقيا الشرق، (ددن)،ط191،1.

8- روجوب،**تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتي عام 1900م**،تر يونان لبيب رزق،دار البيضاء،المغرب،ط1401،1هـ،1981م.

9- الزبير محمد العربي،**مدخل إلي تاريخ المغرب العربي الحديث**،دار المعارف بمصر،القاهرة،(د-ط)،(د-ت).

10- الزياني أبو القاسم،**البستان الظريف في دولة أول مولي الشريف (من النشأة إلي نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله)**،ق1،تح الأستاذ رشيد الزاوية،مركز الدراسات والبحوث العلوية الربطاني،إقليم الرشدية ،(د-ط)،2013.

11- سامح التر عزيز،الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية،تر،محمود علي عامر،دار النهضة العربية يسروت، ط 1 ، 1989 .

12- عامر محمد علي،فارس محمد خير،**تاريخ المغرب العربي الحديث،(المغرب الأقصي لبيبة) منذ بداية القرن السادس عشر إلي غاية 1830**،ج1 الجمعية التعايشية للطباعة بدمشق،سوريا،(د-ط)،(د-ت).

13- عطا الله الجمل شوقي،**المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)** ،مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،ط1977،1.

14- العقاد صالح،المغرب العربي،(**دراسة في تاريخه الحديث أحواله المعاصر**)،مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،(د-ط)،(د-ت).

15- غربي محمد،**بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**،ج1،مؤسسات الخليج للطباعة،الكويت،(د-ط)،1982.

16- كريم عبد الكريم،**المغرب في عهد الدولة السعدية**،دراسة تحليلية للأهم التطورات السياسية لمختلف المظاهر الحضارية ،جمعية مؤرخين المغاربة،الرباط، ط3، 2006.

17- المحامي محمد فريد بك ،**تاريخ الدولة العلوية العثمانية**، تح احسان حقي ،دار النفائس، ط6 ،بيروت،1988.

18- محمد الأمين محمد ،الرحماني محمد علي ،**المفيد في تاريخ المغرب** ،السنة الثالثة ثانوي،(د-د-ن)،(د-ط).

19- المدني أحمد توفيق،**حرب ثلاث مائة سنة بين الجزائر وإسبانيا**،الشركة الوطنية لنشر وتوزيع،الجزائر،(د-ط)،(د-ت).

20- المراكشي عبد الواحد،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،دار البهاء الدين للنشر وتوزيع،(د-ب)،(د-ط)،2012.

21- المشرقي محمد بن محمد بن مصطفي،**الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير متناهية**،ج1،دار أبي الرقراق لطباعة والنشر،المملكة المغربية،ط2005،1.

22- مقلد غموني عبد الفاتح،**موسوعة تاريخ المغرب العربي بين بني حفص وبني زيان وبني مرين**،**ج5**،دراسة في تاريخ الإسلامي،مكتبة،مديولي،القاهرة،ط1414هـ،1994.

23- الناصري أحمد بن خالد،**الإستقصا للإخبار دول المغرب الأقصى**،**دولة السعدية** ،**ج5**،تح الأساتذة الناصري محمد،دار الكتاب(دط)،1418هـ،1997.

ج- المذكرات :

1- بكاي هوارية ،مبخوث برداوية ،**العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والاقصي خلال القرنيين السابع والعاشر هجريين(633 هـ-962/1554،1233)**،رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي الوسط،قسم التاريخ وعلم أثار،جامعة أبي بكر بقايد، تلمسان .2013م – 2014م

د- المجلات :

1- سكويت فهد،**مواقف الأشراف السعدين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية**،مجلة الملك سعود،الرياض،(د-ط)،2006.

2- طحطح خالد فؤائد،**العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن السادس عشر**،المجلة التاريخية،الغوسطات،(د-ط)،(د-ت).

قـــائمـــــة المـــختصرات

العـــربـية
- ط : طبعة - د ط : دون طبعة - ج : جزء - د.ت : دون سنة تاريخ - د د ن : دون بلد نشر - م : ميلادي - هـ : هجري - ص : صفحة - ص ص : من الصفحة إلى الصفحة - تر : ترجمة - مر : مراجعة - مج : مجلد - ع : العدد - تح : تحقيق - در : دراسة